

كتاب يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي



دكتور

عبد الرازق محمد محمود فضل

السنة السادسة عشرة
العدد ١٨١ عام ١٤١٨هـ




بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

[الفاتحة]

اللهُمَّ صَلِّ على سَيِّدنا محمد
وعَلى آل سَيِّدنا محمد كما صلَيت
عَلى سَيِّدنا إبراهيم وعَلى آل
سَيِّدنا إبراهيم، وبارك عَلى سَيِّدنا
مُحَمَّدٍ وعلى آل سَيِّدنا محمد كما
باركت على سَيِّدنا إبراهيم وَعَلى
آل سَيِّدنَا إبراهيم في العَالمين إنك
حميدٌ مَجِيد

اللهم لك الحمـد حتى ترضى،

ولك الحـمـد إذا رضـيت

ولك الحمد بعد الرضـا



تقديم

عُنِي الصحابةُ – رضي الله عنهم – بحديث رسول الله – ﷺ – عناية فائقة، فقد دفعهم إيمانهم وحبهم المخلص لله وللرسول إلى أن تكون حياتهم خطوات ثابتة لا تضل ولا تزيغ عن حياة رسول الله – ﷺ – فهم ملازمون للنبي بياض النهار مشغولون بقول الرسول وفعله آناء الليل حتى إنَّ أحدهم ليتَخوَّن نفسه وقد وجد لها اهتماماً بأمور الحياة بعد منصرفه من مجلس الرسول – عليه الصلاة والسلام – ولايجد بداً من عرض الأمر عليه – ﷺ – الذي يطمئنه بأن حاله هذه هي حال المؤمن وليس المؤمن ملكاً لا اهتمام له بدنيا المال والأهل والولد ويقول له «**والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ماتكون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات**»[1].

لذلك فلا عجب أن يصل إلينا ماورد عن النبي من قول أو فعل أو تقرير.

نقله صحابة رسول الله أداء للواجب، وحباً في الله ورسوله، ونصحاً لأئمة المسلمين وعامتهم، وامتثالاً للدعوة النبوية «**نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها وأداها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في باب فضل دوام الذكر في أمور الآخرة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا. انظر صحيح مسلم بشرح النَّووي ١٧ / ٦٥ ومابعدها.

(٢) راجع مشكاة المصابيح / ٣٧ في كتاب العلم، وزوائد ابن ماجة للبوصيري / ٣.

وقد دون بعض الصحابة ماسمعوا من رسول الله - ﷺ - كعبدالله بن عمرو بن العاص في صحيفته (الصادقة) .

والكثرة الكاثرة منهم حفظت ماسمعت من رسول الله حفظاً واعياً، وليس هذا بمستغرب على أمة أمية لا تكتب فقد هيأ الله لأهلها بسبب طبيعة جوهم وبساطة معيشتهم، وسعة خبرتهم بأساليب لسانهم وطرق بيانهم ذاكرة لاقطة حافظة .

ودع عنك أراجيف المضلين وما رموا به الحديث الشريف من ادعاءات باطلة فأقوالهم يدحضها :

كثرة عدد الصحابة[1] الذين ورثوا تراث حكمة رسول الله - ﷺ - ونهضوا بعبء الدعوة والتبليغ عنه - عليه الصلاة والسلام .

كما يدحضها أسلوب رسول الله - ﷺ - فالعالم وغير العالم يستطيع التمييز بين قول نطق به الصادق المصدوق وبين قول زوره أو زور فيه مزور على الرسول - ﷺ - العالم يميز بمعرفته خصائص بيان محمد رسول الله - عليه الصلاة والسلام - القولية والإيمانية الربانيِّة، وغير العالم يستدل على بيان رسول الله بما لهذا البيان من نور صاف رباني .

كما يدحضها العناية الفائقة بمتن حديث رسول الله - ﷺ - توثيقاً واستنباطاً؛ أما التوثيق فقد بدأ في حياة رسول الله وهو - عليه الصلاة والسلام - الذي ابتدأه فلما استبدل أحد الصحابة كلمة رسولك الذي أرسلت بكلمة « نبيك » أرشده رسول الله وصحح له .

وكذلك كان الصحابة ثم التابعون ثم علماء الفقه والأصول وغيرهم يحفظون آثار رسول الله ﷺ ويستنبطون الأحكام من قول

---

(١) انظر البيان النبوي / ٢٧ .

محدد اللفظ محبوك العبارة لرسول الله – ﷺ –.

أما العناية بسند حديث رسول الله – ﷺ – فهي عناية لا يقدح فيها إلاَّ جاهل فالكتب الباحثة في سند الحديث ورجاله كثيرة كثرة هائلة بحيث إنك إذا أردت الوقوف على عنعنة حديث من سنة رسول الله ومعرفة رجاله والوقوف على درجته من حيث الصحة والحسن والضعف وغير ذلك فستجد أمامك من الكتب والأسفار مايحقق لك بغيتك في القصير من الوقت والقليل من الجهد.

ويكفينا هذا القدر من الحديث عن حجية السنة في التشريع الإسلامي وعن مكانتها وعن الاهتمام الجاد بها سنداً ومتناً واستنباطاً لنقرر – غير مترددين – أن العناية بقول رسول الله – بلاغياً – عناية تناسب مكانته هذا القول وإبداع هذا البيان لم تنل الحظ الذي يليق بها من التحليل الواعي الذي يقف طلاب العلم على مافي بيان رسول الله من عناصر الأدب الرفيع الذي اجتمعت له فصاحة اللفظ وحلاوته ومناسبته للمعنى والغرض والسياق كما اجتمع له عمق المعنى ونصاعته وجدة الأفكار وترابطها بحيث يستطيع المتلقي استيعابها وجمعها والانتفاع بها.

ولبيان رسول الله من سهولة العرض وعذوبة الأسلوب مايجعل المتلقي لايكابد عناء في حسن المتابعة وانسياب المعاني في ذهنه، أضف إلى ذلك مايجده في بيانه – ﷺ – من حركة أسلوبية متجددة تنتقل بين الخبر والإنشاء ولاتدع المتلقي بعيداً عنها، بل هي مستثيرة له بما عرفه أهل الأدب من وسائل التنبيه والإثارة وحسن التصوير؛ لتخرج المعاني عن خفائها الفكري المجرد إلى وضوح المشاهد المحسوس الذي لاتخطئه عين ولاتنبو عنه أذن ولاتجافيه بقية الحواس.

ولقد كان للعاطفة الحارة – عاطفة الحب الحقيقي لله أولاً وللأمة ثانياً ولكل المعاني الإنسانية الخيرة – أثر جد عظيم في بيانه – ﷺ –.

ولم يغفل البيان النبوي الجوانب الجمالية للألفاظ والتراكيب فحفل بيانه – عليه الصلاة والسلام – بأنواع من البديع كالطباق والجناس والسجع والازدواج وغيرها جاءت خادمة للمعنى مؤكدة له – مزينة للأسلوب معينة على فهمه وحفظه.

وخلاصة القول إنَّ الأدب إذا كان هو المعنى الجميل في العبارة الجميلة فإن حديث رسول الله – ﷺ – أدب عال راق رفيع ينبغي أن تتوجه إليه أقلام البلاغيين محللة إياه التحليل البلاغي الذي يليق به، وفي هذا خدمة للدين والعلم – وأعظم بها خدمة –.

من أجل ذلك تاقت نفسي إلى أن أكون أحد الذين يتحملون مسؤولية هذا العبء مجاهدين عوامل الشعور بالنقص تجاه عمل كبير كهذا.

وكان من عوامل الانتصار على دواعي التقصير الثقة في عون الله أولاً والاستضاءة بنور السراج المنير – عليه الصلاة والسلام ثانياً – ودعوة كريمة من عالم فاضلٍ[1] إلى أن يجد البيان النبوي اهتماماً أدبياً يجلي شيئاً من بلاغة قول رسول الله – ﷺ.

ولئن كانت الدعوة موجهة إلى عالم كبير فإن بابها لن يوصد أمام طالب علم مثلي يرجو أن يكون له في ميدان خدمة حديث رسول الله – ﷺ – مايثقل ميزانه يوم العرض ومايفتح أمامه باب الأمل في أن يرتوي من حوضه – عليه الصلاة والسلام – ويشرب منه شربة لايظمأ بعدها أبداً.

---

(١) هو الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي. راجع البيان النبوي ص ٢٠٩.

ولكون العلماء لم يخصوا الحديث الشريف ومنه الدعاء النبوي ببحث بلاغي وإنما أشاروا إلى بعض النكات البلاغية إشارات متفرقة تعمق حيناً وتمر مر الكرام أحياناً أخرى في مباحثهم الحديثية الشارحة أو الأصولية المستنبطة أو الفقهية المفتية آثرت أن يكون هذا العمل.

ولأن الدعاء النبوي له سمات بلاغية خاصة[1] فالبداية به في مجال التحليل البلاغي أنسب وفيها - بإذن الله - بركة تقود إلى متابعة البحث التحليلي في جوانب أخرى من الحديث الشريف.

وهذا ماتتجه إليه النفس وتعدو بالمرء إليه الرغبة - إن كان في الأجل فسحة -.

والدعاء النبوي مطلوب ومرغوب فيه من جمهرة المسلمين طائعهم وعاصيهم - الطائع يدعو عبادة وامتثالاً، والعاصي يدعو توبة وخلاصاً من ذنبه وأوباً إلى ربه وطمعاً في تبديل حال وتحصيل منال - من أجل ذلك جمعت في هذا الكتاب خمسة وعشرين حديثاً انتقيتها من أدعية رسول الله ﷺ مراعياً الآتي:

١- صحة الحديث أو حسنه ولن تجد بين أحاديث الدعاء - هنا - حديثاً موسوماً بالضعف على الرغم من أن الحديث الضعيف يؤخذ به في فضائل الأعمال - كما هو رأي الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - والدعاء من فضائل الأعمال.

وكثيراً ماكنت أعد العدة للبحث البلاغي في حديث أرى فيه نكات بلاغية وفيرة - قريبة المنال وسرعان ما أضع عدتي وأنحيها جانباً لوسم علماء الحديث - هذا الدعاء بضعف الدرجة.

---

(١) انظر ص ٤٠ من هذا الكتاب.

٢– شمول أحاديث الدعاء في هذا الكتاب – أحوال المسلم الحيوية جلها من رقاد ونوم ومن قلق بالليل وتعار ومن يقظة وتحرك ومن طعام ومشرب ومن سفر وإقامة ومن إقدام على عمل وخوف من عدو، ومن المحاولة والمصاولة والمنازلة ومن غنى وفقر، ومن هم ومداينة إلى غير ذلك.

وسيجد القارئ الكريم في هذا الكتاب بياناً مختصراً لمكانة السنة النبوية المطهرة من الشريعة الإسلامية.

يتلوه بيان – مختصر أيضاً – عن منزلة الدعاء في الإسلام وآدابه.

ثم انتقال إلى سمات أسلوب رسول الله – ﷺ – بصفة عامة.

لننتقل من هذه السمات إلى سمات خاصة بالدعاء النبوي الشريف.

ثم نتبع ذلك بحديث مختصر عن إعجاز القرآن وإبداع الحديث – وأبوء بفضل هذا العنوان إلى أهله – من علماء أجلاء كان لهم فضل الأولوية في هذه العنونة.

ثم التحليل البلاغي للأحاديث الدعائية التي هي أس هذا الكتاب وعموده.

وبعـــد :

فهذه خطوة أسأل الله أن تتلوها على طريق الهدى ، خطوات تسير في أنوار أقوال لها من صفاء القلب وشفافية الروح وسمو المعنى وعمق الفكر ، وجميل اللفظ وشرف الغاية والمقصد ، وتوفيق الدلالة النصيب الأوفى والحظ الأكمل والأرقى وكيف لا تكون كذلك وهي

أقوال من زكى الله حديثه فقال :

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)﴾ [النجم].

والخير أردت فإذا كنت قد أوتيته فمن الله وإلاَّ فقد أبلغت نفسي العذر «ومبلغ نفس عذرها مثل منجح» كما يقولون.

ويكفيني إخلاص النية وحسن التوجه والمقصد وبذل كل الجهد في سبيل الإتقان والإجادة، وهذه كفاية لايحبط معها - بإذن الله - عمل.

﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أفصح الناس أجمعين.

د. عبدالرازق محمد محمود فضل

مكانة السنة النبوية المطهرة

قال تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

آثرت أن أبدأ الكلام في مكانة السنة النبوية المطهرة من الشريعة الإسلامية بهذه الآية لأن فيها - فيما أرى والله أعلم - فصل الخطاب.

فقد حصرت مهمة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في ثلاثة أصول:

الأصل الأول: تبليغ القرآن المنزل عليه من عند الله بواسطة جبريل والمتعبد بتلاوته ﴿ **يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا** ﴾ .

والأصل الثاني: تزكية أتباعه - أي تطهيرهم تطهيراً عملياً - باقتدائهم به في أفعاله وتأسيهم به في أعماله - ﷺ - تلك الأعمال التي كانت المثل الأعلى في العبادة الكاملة والآداب العالية والأخلاق العظيمة، وقد تزكى الصحابة - رضي الله عنهم - بهذه الأسوة ففتحوا بها البلاد، وسادوا العباد وكانوا أئمة أمم المدنية، فالأعاجم عرفوا فضل الإسلام بعدل الصحابة وفضلهم في فتوحاتهم فدخلوا فيه، ومافهم الأعاجم القرآن إلاَّ بعد إسلامهم وتعلمهم العربية.

والأصل الثالث: تعليم الكتاب والحكمة أي تعليم الكتاب الإلهي أو الكتابة التي بها يخرجون من ظلمة الأمية والجهل إلى نور العلم والحضارة وليس هناك مايمنع من تفسير الكتاب بالمعنيين «إذ يجوز استعمال المشترك في معنييه».

وأما الحكمة فهي السنة – لدى أكثر المفسرين – ذلك أن القرآن الكريم دعا إلى التوحيد وأمهات الفضائل وبين أصول الأحكام، ولكنه لم يفصل سيرة الرؤساء مع المرءوسين ولا سيرة الرجل مع أهل بيته في نظام البيوت ولم يفصل طرق الأحكام القضائية والمدنية والحربية ولم يأت في القرآن تفصيل العبادات، بل جاء الأمر بالصلاة والزكاة والصوم دون تفصيل، فما عدد الصلوات المفروضة؟ وكم ركعة في كل صلاة؟ وما أركان الصلاة؟ ومتى تجب الزكاة؟ وكم مقدارها في كل نوعٍ؟ وكذلك تفاصيل الصيام والحج؛ كل ذلك وغيره جاء مجملاً وبينه وفصله الرسول الكريم بالقول وبالعمل.

والسنة العملية التي وقف النبي الكريم صحابته على فقهها ونفذ بهم إلى سرها هي التي جعلت منهم علماء حكماء عدولاً نجباء حتى إن كان أحدهم ليحكم المملكة العظيمة يقيم فيها العدل ويحسن السياسة وهو لم يحفظ من القرآن إلاَّ بعضه ولكنه فقهه وفهمه حق الفهم[1].

وبهذا تتبين مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي فهي المبينة للقرآن بتفصيل المجمل وكشف الخفا عن المبهم وإظهار مافي أحكامه من الأسرار والمنافع.

وهي المُشَرِّعَةُ لما لم يرد له حكم في كتاب الله، ولا اعتراض لأحد على ذلك فقد قرر القرآن الكريم أن ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠].

وقد وضح الرسول الكريم هذا المعنى فقال فيما أخرجه البخاري

(١) انظر تفسير المنار ٢/ ٢٩,٣٠.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**»[1].

بل إن القرآن الكريم أمر بطاعة الله وطاعة رسول الله فقال :

﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [المائدة: ٩٢]. وقد وقف العلماء عند تكرار العامل في ﴿**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ وقرروا أن إعادته تعني أن مايقع به التكليف شيئان: هما القرآن والسنة فكان التقدير أطيعوا الله فيما نص عليكم في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بين لكم من القرآن وفيما ينص عليكم من السنة.

ولكون السنة مصدراً أساسياً في الإسلام نرى بعض العلماء يسميها «كتاب الله» محتجاً بأنها من وحي الله وتقديره[2] لقوله تعالى ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝**﴾ [النجم] والوحي يشمل الوحي المتعبد بتلاوته وهو القرآن، كما يشمل السنة وهي الوحي غير المتعبد بتلاوته.

وقد علمنا أن النبي – ﷺ – ماكان يُسأل عن شيء مما لم ينزل عليه فيه الوحي إلاَّ ويقول «لا أدري» حتى ينزل عليه الوحي[3] سواء أكان وحياً بالقرآن المتعبد بتلاوته أم كان بغيره مما يلهم الله نبيه أو يرسل به رسولاً من الملائكة.

ولقد كانت السنة متعلق نفوس الصحابة والتابعين تعلقهم بالقرآن أو قريباً منه فكان الصحابة في مجلسه – ﷺ – ينصتون إليه

---

(١) الحديث رقم/ ٧١٣٧ – كتاب الأحكام – راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣ / ١١١.

(٢) فتح الباري ١٣ / ٢٥٤ .

(٣) المرجع السابق ١٣ / ٢٩٠ .

وكأن على رءوسهم الطير ارتقاباً لكلمة توجه أو خطبة تقال أو حديث يروى، وكان الشاهد منهم يبلغ الغائب مافاته من قول الرسول عملاً بقوله - ﷺ - «**نضّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها وأداها**»[1].

ولم يكن الصحابة متعلقين بقول الرسول وفعله فقط؛ بل كانوا يتسابقون على ماء وضوئه تبركاً ويتزاحمون على التقاط شعرات رأسه احتفاظاً ببعض آثاره حتى قال أبوسفيان في غيظ : «**مارأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً**»[2].

وعن ابن عون وهو تابعي « ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني : هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه، ويَدَعُوا الناس إلا من خير»[3].

---

(١) أخرجه بن ماجه في المقدمة رقم ٢٣٢.

(٢) أنظر البيان النبوي/ ٣٤، ٣٥، ومحمد المثل الكامل ٣٩٦.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢٥٤ .

منزلة الدعاء في الإسلام وآدابه

قال الله تعالى : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر : ٦٠] .

قررت الآية الكريمة أن الدعاء عبادة إذ بدأت بأمر الله عباده أن يدعوه فإذا دعوا أجابهم .

ثم ذيلت الأمر بقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ ، فجعلت التاركين للدعاء المجافين له مستكبرين عن عبادة الله جزاؤهم جهنم هم فيها داخرون .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – ﷺ – قال : «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»(١) .

وعن أبي مسعود البدري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : «**سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يُسأل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج**»(٢) .

وروى النعمان بن بشير فيما أخرجه أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن النبي – ﷺ – قال : «**الدعاء هو العبادة**»(٣) .

وقد تمثل أحد الشعراء أمر الله عباده بالدعاء وحضهم عليه فقال :

---

(١) أخرجه الترمذي رقم / ٣٣٧٠ في الدعوات ، وأخرجه أحمد في المسند ، والبخاري في الأدب المفرد ، وابن ماجه والحاكم ، والبزار ، وهو حديث حسن راجع جامع الأصول ٤ / ١٦٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات باب رقم/١٢٦ وهو حديث حسن . انظر المرجع السابق في الصفحة ذاتها .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ، ورواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم من حديث النعمان بن بشير .

لـو لـم ترد نيـل ما أرجـو وأطلبه   من جود كفيك ما علمتني الطلبا

ولاحرج على فضل الله فكما لايكبر ذنب على التوبة كذلك لايستصغر شئ عن أن يُدْعَي به فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – «**ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع**» زاد في رواية عن ثابت البناني مرسلاً » «**حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع**»[١] .

والمؤمن الداعي الواثق في الله يعلم أن الدعاء لايأتي إلاَّ بخير لذلك فهو يواظب على الدعاء حتى وإن تأخرت الإجابة .

فقد أخرج الترمذي «**مامن رجل يدعو الله بدعاء إلاَّ استجيب له ، فإما أن يعجل له في الدنيا ، وإما أن يؤخر له في الآخرة ، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، أو يستعجل ، قالوا يارسول الله ، وكيف يستعجل؟ قال يقول : (دعوت ربي فما استجاب لي)**»[٢] .

لذلك كان على الداعي أن يعزم في مسألته ربه ففي البخاري عن رسول الله – ﷺ – «**لايقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسألته ، إنه يفعل مايشاء لا مكره له**»[٣] .

ولأن الله هو الملك الأعظم كان من اللياقة ألا يعتدي المؤمن في الدعاء فيذكر في ثنايا دعائه تفصيلات لا داعي لها فعن سعد بن أبي

---

(١) اخرجه الترمذي في الدعوات، وحسنه، وشسع النعل: سير من سيورها التي تكون على وجهها يدخل بين الأصابع (راجع جامع الأصول في أحاديث الرسول لإبن الأثير ٤ / ١٦٦)

(٢) الترمذي في الدعوات باب رقم/ ١٤٥ ، وروى نحوه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وابوداود .

(٣) رواه البخاري في الدعوات «باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له» وفي التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، وروى نحوه مسلم ومالك والترمذي وأبوداود .

وقاص – رضي الله عنه – قال : سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا، فقال لي: يابني، سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**» فإياك أن تكون منهم، إنك إن أعطيت الجنة اعطيتها ومافيها من الخير، وإن أعذت من النار أعذت منها ومافيها من الشر[١].

والدعاء قرب العبد من ربه لذلك إذا دعا لأحد بدأ بنفسه فعن أبي ابن كعب – رضي الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – «**كان إذا ذكر أحد فدعا له بدأ بنفسه**»[٢].

والدعاء عبادة كما سبق القول، والعبادة بدؤها ذكر الله والثناء عليه بما هو أهله وذكر الله يتبعه ذكر نبيه والصلاة عليه – صلى الله عليه وسلم – .

لذلك كان الداعي مأموراً أن يبدأ دعاءه بذكر الله وإلاَّ كان عجلاً ففي الحديث:

«**بينما رسول الله – ﷺ – قاعد، إذ دخل رجل فصلى فقال : اللهم اغفر لي وارحمني. فقال رسول الله : عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله، وصل عليَّ، ثم ادعه، قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي**

---

(١) أخرجه أبوداود رقم/١٤٦٧ في الصلاة، باب الدعاء، قال المنذري في مختصر سنن أبي داود: وابن سعد لم يسم، فإن كان عمر فلا يحتج به، أقول ولهذا الحديث شاهد بمعناه إسناده صحيح أخرجه أبوداود في الطهارة كما أخرجه أحمد وابن ماجة عن ابن مغفل رضي الله عنه انه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال أي بني: سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء انظر عون المعبود ٤ /٣٥٣.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٨٢) في الدعوات، باب ماجاء أن الداعي يبدأ بنفسه، وهو حديث حسن انظر جامع الأصول ٤ /١٥٧.

- ﷺ - **فقال له النبي - ﷺ - أيها المصلي ادع الله تجب**[1].

وفي رواية أبي داود «**أنه سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي - ﷺ - فقال رسول الله - ﷺ - عجل هذا ثم دعاه فقال له - أو لغيره - إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ويصلي على النبي - ﷺ - ثم يدعو بما يشاء**».

ومن هديه - ﷺ - في الدعاء أنه كان - في أكثر دعائه - يرفع يديه ثم يمسح بهما وجهه فعن السائب بن يزيد - رضي الله عنهما عن أبيه «**أن رسول الله - ﷺ - كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه**»[2].

وأخيراً فهناك أوقات يكون الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة - بإذن الله - منها الثلث الأخير من الليل فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»[3].

ومنها عقيب الصلوات المفروضات فعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال : قيل يارسول الله: «**أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**»[4].

ومنها بين الأذان والإقامة فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد**»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي وهو حديث حسن لغيره (المصدر السابق/ ١٥٤).

(٢) أخرجه أبوداود رقم (١٤٩٢) في الصلاة، وهو بمجموعة حديث حسن، كما قال الحافظ بن حجر في (بلوغ المرام) (المصدر السابق ١٥١).

(٣) رواه البخاري ومسلم، انظر فتح الباري ٣/ ٢٥، ٢٦ في التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، والذي نلقى الله عليه في معنى «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» ما عليه السلف من أننا نؤمن بالنزول على سبيل الإجمال منزهين الله - تعالى - عن الكيفية والتشبيه، ولا تأويل - والله أعلم -

(٤) أخرجه الترمذي رقم/ ٣٤٩٤ في الدعوات باب رقم/ ٨٠ وقال : حديث حسن.

(٥) رواه أبوداود رقم ٤٣٧.

وكذلك الدعاء في السجود فعن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول : «**أقرب مايكون العبد من ربه في سجوده وإذا قام يصلي في ثلث الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»(١).

ومن الدعوات التي لاترد دعوة الصائم حين يفطر، والإمام العادل ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب : **وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين.**

ومنها أيضاً دعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده - كما ورد بذلك الحديث.

وأخيراً نذكر حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : «**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي رقم/ ٢١٢ في الصلاة، ورواه أحمد في المسند ٣ / ١٥٥ من طريق أخرى عن انس.

(٢) أخرجه الترمذي رقم/ ٣٣٧٩ في الدعوات باب رقم/ ٩، ورواه الحاكم في المستدرك ١ / ٥٤٤ وصححه، وأقره الذهبي، انظر جامع الأصول ٤ / ١٤٤.



سمات أسلوبه ﷺ

كلام رسول الله – ﷺ – أدب راق اجتمعت له عناصر الأدب الرفيع من لفظ عذب يناسب المعنى والمقام – وفكرة قوية فيها الجدة والتحديد والتسلسل، وتعبير لا تكلف فيه ولا التواء، ولاتعقيد.

بيانه – ﷺ – سهل المأخذ قريب المتناول موجز العبارة مهيأ كل التهيؤ لأن يستوعبه السامع استيعاباً يمكنه من تبليغ ماسمع عن النبي – ﷺ – .

إذ من المعلوم أن الرسول كان يأمر الشاهد بتبليغ الغائب؛ وكيف يبلغ الشاهد إذا لم يعِ؟ ولكي يعي السامع لابد من تحقق أمور في السامع وفي المتكلم[١].

وفي حديث الرسول – عليه الصلاة والسلام – نرى توفراً على صفات في الفصاحة والبلاغة لم يسبقه إليها الغابرون وتطامنت دون الوصول إليها أعناق اللاحقين.

وفي ذلك يقول الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – : «**أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد**»[٢].

ويقول معلماً الكلام الفصيح: «**أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون**»[٣].

---

(١) في السامع الإنصات الواعي، وفي المتكلم الإبانة وحسن الإلقاء، وفي الكلام فصاحته وبلاغته.

(٢) يقول القاضي عياض في شرح الحديث: «فجمع له بذلك – ﷺ – قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لايحيط بعلمه بشري». انظر الشفا للقاضي عياض ١ /٤٧، وانظر كذلك البيان المحمدي للدكتور مصطفى الشكعة.

(٣) رواه الترمذي.

وتقول السيدة عائشة – رضي الله عنها – في وصف كلامه – ﷺ – «**ماكان رسول الله يسرد كسردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه**».

وفي رواية أخرى: «**كان رسول الله – ﷺ – يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه**».

وتقول أم معبد – تصف كلامه – ﷺ – في جملة ما وصفت به النبي الأمين بعدما رأت منه من آياتٍ معجزات مارأت.

حلو المنطق، فصل، لانزر ولاهذر، كأن منطقه خرزات نظمن، وكان جهير الصوت، حسن النغمة – ﷺ .

ويقول علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – لرسول الله لما رآه يخاطب – عام الوفود كل وفد بلهجتهم: «**يارسول الله، نراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، ونحن بنو أب واحد فقال – ﷺ أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد**».

ويقول الجاحظ في وصف بلاغة رسول الله – ﷺ –.

«لم ينطق إلاَّ عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلاَّ بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، ومع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة ولازلت له قدم، ولابارت له حجة، ولم يقم له خصم ولاأفحمه خطيب؛ بل يبز الخطب الطوال بالكلام القصير، ولايلتمس إسكات الخصم إلاَّ بما يعرفه الخصم، ولايحتج إلاَّ بالصدق، ولايطلب الفلج إلاَّ بالحق، ولايستعين بالخلابة ولايستعمل المواربة، ولايهمز ولايلمز، ولايبطئ ولا يعجل ولايسهب

ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحواه من كلامه - ﷺ -[1].

ويقول الماوردي صاحب أعلام النبوة: «كان من خصال رسول الله - ﷺ - أنه أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بياناً وأوجزهم كلاماً، وأجزلهم ألفاظاً، وأصحهم معاني، لا يظهر فيه هجنة التكلف، ولا يتخلله فيهقة التعسف»[2].

ويقول القاضي عياض صاحب الشفا: «وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان - ﷺ - من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلامة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب فكان يخاطب كلاً منها بلسانها ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله[3].

ويقول الأستاذ / مصطفى صادق الرافعي - يرحمه الله - هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة[4].

ويتحدث العقاد في كتابه (عبقرية محمد) عن بلاغة الرسول -

(١) البيان والتبيين ٢/ ١٧,١٨.
(٢) أعلام النبوة/ ٢٦٦ .
(٣) كتاب الشفا للقاضي عياض ١/ ٤٧ .
(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص/ ٢٧٩.

عليه الصلاة والسلام – في غير موضع من الكتاب فيقرر أنه قد اجتمع لرسول الله – ﷺ – مقومات البلاغة بحذافيرها وتوفر – ﷺ – على كل أسباب البلاغة فهو فصيح في كلامه، فصيح في هيئة النطق بكلامه، فصيح في موضوع كلامه؛ إذ قد يكون الكلام فصيحاً وهيئة النطق به غير فصيحة، أو يكون الكلام والنطق فصيحين ثم لا تجتمع للموضوع صفة الفصاحة السارية في الأسماع والقلوب، ورسول الله تكاملت له الصفات الثلاث فهو أعرب العرب – ﷺ .

واستبطن العقاد مرامي تكرار قول رسول الله – ﷺ – «**اللهم قد بلغت اللهم فاشهد**» فجعلها لازمة لقول رسول الله عظيمة الدلالة إذ هي تلخيص لحياة رسول الله في كلمات معدودات فما كانت حياة النبي كلها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلاَّ حياة تبليغ وبلاغ.

ولصدق هذه الدلالة رأى العقاد أن السمة الغالبة على أسلوب النبي – ﷺ – في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الإبداع قبل كل سمة أخرى، بل هي السمة الجامعة التي لاسمة غيرها، لأنها أصل شامل لما تعرف من سمات هي منها بمثابة الفروع[1].

ويقول صاحب الرسالة الأستاذ أحمد حسن الزيات في بلاغة الرسول – عليه الصلاة والسلام – (إن بلاغة الرسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه وتقصر مقاييسه، فنحن لاندرك كنهه وإنما ندرك أثره... إن البلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية وإذا كان كلام الله كتاب البيان المعجز، فإن كلام الرسول سنة هذا البيان وإذا كان البلاغ صفة كل رسول فإن البلاغة صفة محمد وحده)[2].

---

(١) عبقرية محمد/ ٦٥.

(٢) وحي الرسالة ٣/ ٨١ ولمزيد من المعرفة في هذا الباب انظر البيان النبوي/ ٣٣١ ومابعدها.

وهذه طائفة مختارة من حديث رسول الله أرى فيها إبداعاً في القول وبلاغة في الأسلوب وقوة في الفكرة، وجمالاً في اللفظ، وبلاغاً في التأثير تؤكد تأكيداً عملياً ماسبق من أقوال الواصفين لبلاغته - ﷺ -.

١- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «**اللهم واقية كواقية الوليد**»[١].

في هذا الحديث من سعة المعنى وعمق الفكرة، وجمال اللفظ، وإيجاز العبارة مايعجز القلم عن تسطيره، فالنبي الكريم يطلب في هذا الحديث وقاية عامة تامة لا دخل للأسباب البشرية فيها، ولا أجمع لهذه الوقاية من وقاية الوليد، فالوليد لا حول له ولا قوة إذ هو مدفوع من بطن أمه بقوة حكيمة لا سبب له فيها، وهو من قبل الولادة وأثنائها في مخاطر تستعصي على كل العوامل المادية الحسية وهو من قبل ومن بعد لايملك قوة يذب بها عن نفسه، ولا علم له ولا إرادة، ومع ذلك فهو يأتي إلى الحياة سليماً نظيفاً معافى، فمثل هذه الوقاية إذا حمت الرجل الرشيد فقد تحقق له ما تقر به عينه ويطمئن إليه كيانه.

وإذا العناية لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

٢- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ- «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[٢].

---

(١) أخرجه أبويعلي في مسنده عن ابن عمر - رضي الله عنه - الفتح الكبير وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ٢٧٨.

(٢) الترمذي والحاكم.

في الحديث إيجاز العبارة، وتسلسل الفكرة، وحسن التمثيل.

فالمخوف منه النار، والمنزل الجنة، ومن خاف شيئاً أسرع في التنحي عنه والبعد منه، يسير الليل قبل النهار هرباً من الدرك وأملاً في بلوغ المنزل الهني. فمن أخذ الاحتياط من النار بالجد في عمل الطاعات والابتعاد عن المعاصي بلغ الجنة - إن شاء الله - وليست الجنة شيئاً هين المنال بل دونها أسوار عاليات تجتاز بترك المنكرات وفعل الخيرات.

وفي تمثيل الجنة بالسلعة الغالية تخييل حسن جمع إلى الإيجار شحذ الهمم نحو الجد في امتلاك ثمن الجنة، وفيه تضمين الكلام معنى الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [**التوبة**: ١١١].

٣- عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - قال: قيل لرسول الله - ﷺ - أي الناس أفضل؟ قال: «**كل محموم القلب صدوق اللسان قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما محموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه، ولابغي ولا غل ولا حسد**»[1].

في الحديث إجابة موجزة شافية كافية، والبيان النبوي فيها حقق الهدف من أقصر الطرق وأسهلها فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا صحت السريرة ونظفت العلانية فماذا بقي من دلائل الصلاح وعلائم الفلاح؟

وفي الحديث إشارة إلى أن قلب المؤمن قلب متقد بالطاقة الإيمانية التي تحرق الغل والحسد وأدران الباطن.

---

(١) إسناده صحيح ورجاله ثقات. انظر زوائد ابن ماجة/ ٥٤٧.

أرأيت إلى سهولة العبارة ووضوح المعنى وإيجاز الأسلوب؟

إن القارئ للحديث يظن أنه يستطيع محاكاته ليسر تركيبه وسهولة أسلوبه فإذا حاول طاش وحار - كما يقول الدكتور رجب البيومي .

ويقول الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام :

٤- «مثل المؤمن كمثل النحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وإن وضعت وضعت طيباً، وإن وقفت على عود نخر لم تكسره»[١].

مثل لو بحثت الدهر مفتشاً عن قول حكيم يغني غناءه مع جودة الأسلوب وحبك العبارة وإيجاز القول لأعياك البحث، فالنحلة رمز النشاط والحركة، وماتمتص رحيقه نور ناضر طيب الرائحة، وماكان لنحلة أن تراها عين واقعة على غير زهر فواح، وأما نتاجها فهو ﴿**شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [النحل: ٦٩] ثم هي بعد ذلك هينة لينة إن وقفت على عود نخر لم تكسره.

عد إلى عبارة الحديث تجد توازناً في العبارة وازدواجاً في الجمل وحسن ترتيب في الذكر يوافق ترتب الأحداث في النفس وترتبها في الوقوع الخارجي .

٥- يقول رسول الله - ﷺ - **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٢].**

عبارة سهلة، ومعان ظاهرة يدركها كل إنسان مهما كانت

---

(١) فتح القدير ٥/ ٥١٤ رقم/ ٨١٥٣، انظر البيان المحمدي/ ٧٣٥.

(٢) أخرجه مسلم واحمد في مسنده واصحاب السنن. انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٦/ ٣٩٣ ومابعدها.

ثقافته، ومع ذلك فالاستقصاء الذي جمع وماترك لمستزيد مطمحاً، في زيادة أحداث البشر كلام نفسي يتبعه نزوع إحداثي؛ إما بواسطة اللسان وإما بواسطة البنان، وأرقى أنواع الأحداث هو النوع العملي وموانعه كثيرة لايقوى على اجتيازها كثير من الناس.

فمن لم يقو على التغيير باليد فساحة القدرة أمامه ممدودة إن لم تسعف اليد فلْيَصُلْ اللسان، وكم من كلمة قيلت فغيرت الأحداث وقلبت الموازين، لكن اللسان ربما - بل كثيراً - مايحال بينه وبين الإفصاح، حينذاك يكون المجال مفتوحاً أمام الجميع إذ إن آلة الإنكار في هذا المجال لا سلطان لأحد عليها إلاّ سلطان القادر علام الغيوب «**فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**».

ومن هنا نعلم أن سمات أسلوب رسول الله - ﷺ - تتمثل فيما يأتي:

١- تأييد رباني، وتأديب إلهي، اصطنع الله بهما الرسول الكريم ليكون مبلغاً معلماً هادياً وبشيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

٢- فصاحة لفظية لاقطةٌ الكلمة عربية خالصة ناصعة لاحوشية فيها ولا سوقية، ولاتقعر فيها ولا تشدق، ولاتفيهق فيها ولا غرابة، ولا تنافر بين حروفها، ولا تباعد بينها وبين دلالتها، ولا صخب في صوتها، ولا ضجر يعانيه سامعها على تغير الزمان وتباعد المكان.

٣- فصاحة نطق وحلاوة صوت، تجعل الكلام يتحدر سلساً تدركه العقول، وتعيه القلوب وتطرب له الآذان وعلى كثرة ماسمعت الأذن من حديث رسول الله ﷺ فما عانت صخباً ولا

أعيت سمعاً ولا ملت تكراراً.

٤- فصاحة كلام تأتيك بالقول محكماً آخذاً بعضه بحجز بعض يتعانق فيه الذكر الكلامي مع الوجود الخارجي فلا عوائق ولا طفرات؛ بل تسري الكلمات بالمعاني سريان الماء في أصل العشب.

٥- بلاغة نبوية يتطابق فيها المقال مع واقع الحال وَيَبْدَهُ فيها الجواب السؤال.

٦- صدق قلبي وقولي جعل البيان النبوي يسير لغايته غير مستكره ولا متنكباً طريق الهداية والبلاغ.

٧- نظافة لفظية أسلوبية معنوية فلا فحش في القول، ولا تدني في المعاني وإنما الطهر مظهر رسول الله جسماً وثوباً وقلباً وعملاً وذكراً.

٨- عمق في المعنى وجدة في الفكرة وتسلسل في الأفكار وحسن ربط بين الأفكار بعضها وبعض.

٩- تصوير كاشف يختلف باختلاف المعنى والغرض منتزع من البيئة يجلو المعنى ويؤكده ويثير في النفس دواعي الامتثال، يقل ويكثر حسب المعنى والغرض الذي سيق من أجله الكلام.

١٠- بسط في ميادين البسط وإيجاز هو الغالب إذا لم ينفسح المقام للبسط والإطناب، ومن أوفى بحق المقام من رسول الله عليه الصلاة والسلام؟.

١١- وعاء أسلوبي يتنوع بين الخبر والإنشاء حسب مقتضى الحال.

١٢- بديع لفظي ومعنوي يتمم المعنى ويجمل اللفظ لا يباين الفطرة ولا يجافي السليقة ولا يصار فيه إلى تكلف.

وأكثر ماجاء في حديث رسول الله من أصباغ البديع هو الازدواج والسجع والجناس والطباق.

١٣- جرس صوتي أخاذ لا تخطئه قلوب المتذوقين للأدب العالي الرفيع ينبع من بلاغة الترتيب الكلمي ترتيباً يتوافق واهتزاز المشاعر وتموجات النفس بالإيمان.

هذه - فيما أرى - سمات أسلوب رسول الله - ﷺ - بصفة عامة، فإذا ماصرنا إلى الدعاء النبوي وجدنا بعض الاختلاف عن الأسلوب العام.

سمات اسلوب الدعاء النبوي

وأوضح مايميز ذلك هو خلو الدعاء من الصور التشبيهية والمجازية - إلاَّ نادراً - لأن المقام أسمى من أن يلجأ فيه إلى تصوير كاشف أو تمثيل مؤكد فالمدعو - سبحانه - أعلم بحاجة الداعي ومطلوبه من نفسه، وأقرب إليه، وأسمع لما يدعو به من حواسه.

والتصوير يصار إليه لتوضيح أو تأكيد أو تزيين أو خلاف ذلك، وهذه الأغراض ليست مما يناسب مقام الدعاء، وجلال المدعو وخشية الداعي؛ وفي الدعاء النبوي تزداد حرارة العاطفة مع الصدق في إظهارها؛ عاطفة الحب لله الذي دونه أي حب، والذي يجعل ذكر المحبوب متصلاً مستغرقاً أحواله - ﷺ - كلها فهو إذا استيقظ أول اليوم لصلاة الصبح ذكر داعياً، وإذا فرغ من الصلاة جلس داعياً، وإذا هم بالخروج من المسجد خرج داعياً وإذا وصل داره دخل داعياً، وإذا

قدم إليه طعامه أكل داعياً، وإذا بلغ الشبع أنهى الأكل داعياً، وإذا أتى مضجعه نام داعياً، وإذا تعار من الليل كان داعياً، وإذا بلغت الشمس مغربها أمسى داعياً وإذا حزبه أمر فزع داعياً، وإذا أزمع سفراً بدأه داعياً حتى إذا أراد إتيان أهله كان داعياً.

والعاطفة النبوية في الدعاء جعلت ألفاظ الحديث تساير العاطفة وتستمطر الإجابة، وتعظم المدعو سبحانه مع سهولة في منزعها ومناسبة بين حروفها وتناسب مع المدعو به، وعذوبة في جرسها.

ولنضرب لذلك مثلاً قوله - ﷺ - : «**اللهم رب السموات السبع وما أظللن والأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها**»[1].

فتنزيه الله وتعظيمه في الحديث مستغرق من العبارة أكثر مما استغرقه الدعاء نفسه.

صحيح أن ألفاظ الدعاء قليلة ومعانيه متنامية كثيرة، ففي لفظ (**خير**) عموم إذا فصل شمل من الأنواع مايكثر عدده ويطول ذكره، وكذلك التعبير بكلمة (**ما**) في «**وخير مافيها**» وما تلقى به الظرفية المكانية في (**فيها**).

وقل مثل ذلك في بقية الحديث، لكن ذلك لاينفي ماذكرنا سابقاً من أن ألفاظ التنزيه والتمجيد في الحديث كانت أكثر من ألفاظ الدعاء نفسه وماذلك إلاّ لأن حب الرسول المستيقظ دائماً في ضميره

---

(١) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة رقم/ ٥٤٤ عن صهيب رضي الله عنه وابن السني، وابن حبان، وأورده الحاكم، وصححه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار. انظر الأذكار للنووي/ ٢٨٥.

لربه يمد له من بسط القول في التنزيه الإلهي أكثر مما يمد له في أي غرض آخر.

فإذا ماجاوزنا حرارة العاطفة في الدعاء النبوي طالعتنا الفكرة أكثر تحديداً منها في سائر قوله - ﷺ -.

فقد تستدعي فكرة الحديث - في غير الدعاء - أفكاراً جزئية يقتضيها إبراز المعنى قوياً محيطاً، أما الدعاء فذو فكرة واحدة غالباً - اقتضاها موقف ما من مواقف الحياة ففكرته محدودة محصورة في جانب واحد.

ولايعني هذا أن جميع الأدعية النبوية موضوعة في قالب جامد، لا، ولكن التشعب فيها محدود ولنأخذ لذلك مثلاً من الحديث النبوي في غير الدعاء، ومثلاً من الدعاء.

فمثال الأول قوله - ﷺ - «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ماينفعك، واستعن بالله ولاتعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وماشاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[1].

الفكرة العامة في الحديث - والله أعلم - هي التوكل واليقين، والأفكار المساعدة اشتملت على خيرية المؤمن القوي على الضعيف، وعلى أسباب القوة الإيمانية وعلى التسليم المطلق للقضاء إذا وقع، وعلى خطورة لفظ لو وآثاره، وأن قوله ليس من صفات المؤمن.

ومثال الدعاء قوله ﷺ: «**اللهم رب الناس أذهب البأس أشف**

---

(١) رواه أبوهريرة فيما أخرجه مسلم في القدر باب في القوة وترك العجز، وأحمد في المسند ٢ / ٣٦٦ و٣٧٠، وابن ماجة في القدر وفي الزهد، والنسائي في عمل اليوم والليلة، وابن السني رقم/٣٤٨.

أنت الشافي، لا شفاء إلاَّ شفاؤك شفاء لايغادر سقماً»[1].

فكرة واحدة هي طلب الشفاء وإذهاب البأس يلح عليها النبي الكريم داعياً ربه - عز وجل - منزهاً إياه عن كل نقص ومعظماً له بأنه لاشفاء إلاَّ شفاؤه.

وثالث مايميز الدعاء النبوي عن بقية حديثه - ﷺ - هو الإيجاز، ولئن كان الإيجاز صفة حديث رسول الله الغالبة فإن للدعاء فيه المكان الأوفى والدرجة السميا، وذلك لتتأتى إعادة الدعاء أكثر من مرة، وقد ذكرت كتب السنة أن النبي ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا استغفر استغفر ثلاثاً، ولأن الدعاء يصدر عن تجميع النفس ولمّ شتاتها وجمعها في شيء واحد هو المدعو به.

ومن المسلّم به بلاغياً أن الإيجاز إنما يكون عن تركيز الفكرة، واندماج النفس فيها، وقوة في التوفر على حصرها والإحاطة بها.

وهناك سبب آخر هو أن النبي ﷺ يدعو عابداً ومعلماً - يعلم أصحابه ومن بعدهم أمته، والإيجاز أنسب للتعلم والحفظ. وسرعة انتقال الكلام من السلف إلى الخلف.

والأدعية الموجزة أكثر من أن تحصر ويكفي أن نمثل بقوله ﷺ- عندما يرقد واضعاً كفه تحت خده الأيمن «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**»[2].

ولئن وردت بعض الأدعية فيها شيء من الإطناب فما ذلك إلاَّ لأن المدعو به أمر متسع الأفانين كدعاء الاستخارة ودعاء السفر

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها رقم/ ٥٧٤٣ في الطب، باب ماجاء في رقية النبي ﷺ، ومسلم في السلام باب استحباب رقية المريض، وأحمد في المسند/ ٦، وابن ماجة والنسائي في عمل اليوم والليلة. انظر روايات الحديث في جامع الأصول رقم/ ٥٧٠١، وانظر الأذكار للنووي/ ١٧٩.

(٢) رواه ابوداود رقم ٤٣٨٨ في كتاب الأدب.

وماشابههما مما يكون الأمر فيه ذا سعة وتعدد أحداث وكثرة موافقات ومفارقات.

ومن خصائص أسلوب الدعاء النبوي الكريم - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - الإكثار من استعمال أنواع مخصوصة من البديع هي الطباق ومراعاة النظير والجناس يستعملها الرسول - ﷺ - في الدعاء أكثر مما يستعملها في غيره؛ تلك الأنواع التي إذا لم تتكلف زانت العبارة، وأدت دوراً غير منكور في إظهار المعنى قوياً مؤكداً واضحاً.

والتكلف ليس من صفة رسول الله لا قولاً ولا سلوكاً ولا تعاملاً كيف وقد أمره القرآن بذلك ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ [ص: ٨٦].

وخير مانمثل به في هذه المقام قوله - ﷺ - «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي وخَطَئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير**»(١).

ففي الحديث طباق بين «**اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي، وخَطَئي وعمدي وماقدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت**» وفي «**أنت المقدم وأنت المؤخر**»، وللطباق بلاغته في تأكيد الفكرة وتعميق المعنى ونصاعة اللفظ، فالمطلوب في الحديث مغفرة عامة تشمل كل ما وقع وَعُلِمَ، وكذلك كل ماوقع ولم يعلم وفي هذا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم في الدعوات، ومسلم في الذكر والدعاء، وأحمد في المسند ٤/٤١٧ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الحديث، جانب التعليم والعبودية الشاكرة أقوى من أن يكون النبي – ﷺ – يطلب ما يطلب لنفسه لأنه قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر.

والطباق كثير في دعاء الرسول – ﷺ – قليل فيما عدا الدعاء من حديثه – عليه الصلاة والسلام – ولولا خوف سآمة القارئ لأثبت هنا جمعاً استقرائياً يدعم هذا الاستنتاج ويثبته.

وأما مراعاة النظير وهو الجمع بين معنيين متقابلين لا بالتضاد فهو كثير في حديث رسول الله ونمثل له بقوله – ﷺ – «**اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار**»(١).

ففي الحديث جمع بين أمور متناسبة هي موجبات الرحمة، وعزائم المغفرة، وهي أمور متناسبة غير متضادة جمعها هذا الدعاء الكريم.

والجناس الذي يعده متأخرو البلاغيين من المحسنات اللفظية له من الشواهد النبوية في الدعاء مايرفع قدره ويعلي من شأنه ويمحو عن إشراق ديباجته ماوسمه به بعض البلاغيين من كونه حلية لفظية يصار إليها بعد استيفاء الكلام حظه من البلاغة وخير مانمثل به في هذا المقام قوله – ﷺ – «**اللهم يا مصرف القلوب والأبصار صرف قلبي إلى طاعتك**»(٢).

وقوله: «**اللهم كما حسنت خَلقي حسن خُلُقي**»(٣).

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – وصححه على شرط مسلم.

(٢) أخرجه مسلم في القدر، وأحمد في المسند ٢ / ١٦٨ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) روي هذا الحديث بروايتين الأولى أنه – ﷺ – كان إذا نظر وجهه في المرآة قال: «**الحمد لله، اللهم**=

بقي من خصائص أسلوب الرسول الكريم في الدعاء كثرة استعمال السجع والازدواج، ولن أطيل القول في الدفاع عن الأسلوب المسجوع غير المتكلف، فقد كثر فيه القول كثرة تغني عن الإعادة، إن زينة الأسلوب - إذا لم تكن على حساب المعنى، بل كانت تابعة له - أمر يزين الكلام ويحبب فيه السامع ويسهل حفظه وإن أردت مزيداً من المعرفة في هذا الجانب فعليك بكتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني وإعجاز القرآن للباقلاني، والمثل السائر لابن الأثير، والبيان النبوي للدكتور رجب البيومي، والبيان المحمدي للدكتور مصطفى الشكعة وغيرها.

= **كما حسنت خَلقي فحسن خُلُقي**» والحديث بهذه الرواية إسناده ضعيف والأخرى بدون تقييد بالنظر في المرآة. وقد ثبت الدعاء بها (انظر الإرواء ١ /١١٣ - ١١٦ والأذكار للنووي/ ٣٨٢) .

بين إعجاز القرآن وإبداع الحديث

لا مجال للمقارنة بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث، ولا بين بلاغة القرآن وبلاغة الحديث، فالبون شاسع؛ لأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - تربى في ميدان القرآن الكريم - قولاً وفعلاً وتأدباً وسلوكاً - فهو لا يقول منافساً للقرآن، وإنما يقول هو في رحاب القول الرباني يسبح في بحر بلاغته.

فمثل حديث رسول الله والقرآن الكريم كمثل عطاء الله وعطاء رسول الله فلله عطاء وللرسول عطاء لكن أين عطاء الرسول - وهو العطاء البشري الأعظم - من عطاء الله - عز وجل - .

ولله قدرة، وللنبي - عليه الصلاة والسلام - قدرة، فأين قدرة النبي من قدرة الله؟

وللنبي - عليه الصلاة والسلام - حلم، والله هو الحليم فأين حلم رسول الله الجم من حلم الله؟

كذلك قل: لله كلام وللنبي كلام فأين كلام النبي من كلام الله؟

لذلك فإن العلماء الأفاضل الذين شغلوا أنفسهم في الاستدلال على بعد المنزلة بين كلام الله وحديث رسول الله كان مقصدهم - فيما أرى - أن يوصدوا الباب - بالاستدلال العقلي - أمام الملاحدة والزنادقة الذين لايخلو زمن من بث أراجيفهم ونشر مرض قلوبهم حول كتاب الله ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [التوبة : ٣٢].

ومن العلماء الذين عنوا بتبيان الفرق بين كلام الله وكلام رسول الله - ﷺ - الإمام الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن، فقد أتى من قول الرسول بعدد من الخطب كما أتى برسالتيه - عليه الصلاة والسلام - إلى كسرى والنجاشي، ثم أتبع ذلك بوثيقة صلح الحديبية، وبيّن بعد ذلك الفرق بينها وبين آي الذكر الحكيم ليخلص إلى نظم القرآن الكريم من الأمر الإلهي، وكلام النبي - ﷺ - من الأمر النبوي، وشتان مابين الأمرين.

وقد أُخِذَ على البقلاني أنه تخير أقوالاً نبوية كيفما اتفق، ولم يعقد مقارنة بينها وبين آيات مختارة من القرآن الكريم تجتمع معها في المعنى والغرض.

وكان الأولى به أن يأتي بآيات في معنى مخصوص، ويأتي بعدها بأحاديث في المعنى نفسه، ثم يوازن بينهما.

والمؤاخذة في موضع أصيل من الحق، فلا تكون موازنة بغير تحديد في القول والمعنى.

والذي تدارك تقصير الباقلاني عالم حديث[١]. عرض بعضاً من حديث رسول الله - ﷺ - بإزاء آيات من كتاب الله - عز وجل - يربط بينهما هدف ويجمعهما معنى، وانتهى إلى نتيجة لا تخفى على ذي لب، وهي أن الفارق بين بلاغة القرآن وبلاغة الحديث بعيد بعد مابين الإعجاز الإلهي والإبداع البشري.

ولا أدل على أن البلاغة القرآنية إعجاز إلهي من أن أرباب البلاغة في قريش كانوا إذا سمعوا القرآن يتلوه رسول الله - ﷺ - يبهرون ببلاغته، ويقربون من الإسلام مايمنعهم من الدخول فيه إلاّ

(١) هو الأستاذ/ مصطفى الزرقا الأستاذ بجامعة دمشق - انظر البيان النبوي/ ٣٠١ ومابعدها.

العناد والمكابرة؛ وماخبر عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، وغيرهما ببعيد عمن قرأ قدراً من سيرة رسول الله ﷺ .

ومن أراد المزيد في الوقوف على تبين الفرق بين إعجاز القرآن وإبداع الحديث فليقرأ للأستاذ الدكتور العلامة / محمد عبدالله دراز كتابه النبأ العظيم وللأستاذ / مصطفى الرافعي كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وغيرهما .

وأيما كان الأمر فالفطرة البلاغية العربية، والفطنة الإنسانية، والنظرة الحيادية تثبت أن القرآن الكريم في الطرف الأعلى من البلاغة، فلا منافسة ولا محاذاة، وأن دون هذا الطرف درجات أعلاها بيان رسول الله – ﷺ – ثم تتفاوت درجات البيان البشري بعد ذلك في البلاغة والبيان؛ ويكفينا في هذا المقام أن نتلو قول الله – عز وجل – .

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

التحليل البلاغي لبعض أحاديث الدعاء

الحديث الأول

روى ابن عباس حديثاً طويلاً في مبيته في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها في تهجد النبي - ﷺ - من هذا الحديث: **قال ابن عباس: «فأذن المؤذن يعني للصبح فخرج إلي الصلاة وهو يقول: اللهم اجعل لي في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً واجعل لي في سمعي نوراً، واجعل لي في بصري نوراً، واجعل لي من خلفي نوراً، واجعل لي من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً»**[1].

الحديث فيه من مناسبة الدعاء لزمان التوجه به إلى سامع الدعاء مايجعله أصلاً في البلاغة لأصحاب القول وأرباب الكلام، فانبلاج الصبح إنما يكون بانبساط النور وانتشاره على صفحة الكون يزيل ببياضه سواد الليل ويبدد بضوئه ظلمته.

والقول النبوي جعل دعاء استقبال الصباح طلب نور لمداخل الإدراك في الإنسان، وتعدى من ذلك إلى أن يصبح الإنسان مصدراً للنور، ينير ما حواليه من أجواز وجهات، وفي ذلك ائتلاف اللفظ مع الحال والمقام.

صحيح أن النور المطلوب نور خاص باق لا تبدده ظلمة ولاتحجبه حجب لكن بينه وبين نور الصبح مناسبة وصلة، نعم النور

---

(١) البخاري رقم/٦٣٦١ في الدعوات باب إذا انتبه من الليل، ومسلم رقم ٧٦٣ في صلاة المسافر باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، واحمد في المسند ١ / ٢٨٤ و٣٤٣ و٣٧٣، وأبوداود رقم ١٣٥٣ في التطوع باب في صلاة الليل والترمذي رقم ٣٤١٩ في الدعوات باب رقم ٣٠.

المطلوب نور خاص فهو في القلب هداية وخير، وفي اللسان منطق صدق وبر، وفي السمع صوت وبر وخير، وفي البصر رؤية جمال واعتبار، وبهذا الخير والهدى يصبح الإنسان مصدراً لإشعاع الهدى وإشاعة الخير، فالنور في التعبير النبوي كناية عن الهدى والخير تتشبع به النفس وتشعه على كل ما في الكون وهكذا المؤمن خير في نفسه خير لغيره.

ومن الدقة في الكلم النبوي – على قائله أفضل الصلاة والسلام – التفريق في طلب النور بين نور مطلوب للدنيا ونور مطلوب لاجتياز الصراط، فنور الدنيا طلبه النبي من ربه بفعل الدعاء (**اجعل**) ونور اجتياز الصراط طلبه بفعل الدعاء (**أعط**)، ذلك أن نور الدنيا للإنسان فيه كسب، أو ينبغي أن يكون للإنسان فيه كسب فيناسبه الفعل (**اجعل**) أما نور الصراط فهو من العطايا والهبات التي تعظم أن يكون لها سبب غير محض فضل الله – سبحانه – .

وتنكير نور يفيد تعظيم النور المطلوب وفي **ذلك** – أيضاً – مناسبة بين المطلوب ومن يطلب منه فالمطلوب منه عظيم ينبغي ألاَّ يطلب منه إلاَّ الشيء العظيم، وهذا أدب نبوي ربى عليه الرسول نفسه وأمته في كل دعاء.

ومن وسائل تعظيم النور المطلوب تكرار لفظ (**نور**) في الحديث الشريف ومن المعلوم أن التكرار أحد وسائل تأكيد الغرض المسوق له الكلام.

والتكرار هنا تكرار حسن، لأنه جاء على جهة التشوق إلى النور واستعذابه، ولإفادة زيادة الرغبة في النور وهدايته.

ومن وسائل توكيد الغرض من الدعاء، وزيادة الرغبة فيه –

أيضاً- الجمع بين الشيء ونظيره والشيء وضده وهو المسمى عند أهل البلاغة بالطباق.

فمن طباق التنظير الجمع بين القلب واللسان، والسمع والبصر في «**اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً**».

ومن طباق الضد قوله - ﷺ - «**اجعل لي من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً ومن تحتي نوراً**».

ومن الدقة في التعبير النبوي تقديم جهة الخلف على الأمام في «**اجعل من خلفي نوراً ومن أمامي نوراً**» مع أن الأمام أولى بالتقديم ذلك أن توقع مجيء الشر من الخلف أقوى من توقع مجيئه من الأمام فقدم جعل النور من الخلف رعاية لهذا الجانب - والله أعلم -.

وانظر إلى حسن الترتيب في البدء بطلب النور للقلب، والقلب أس الحياة وموضع النيات، ثم ذكر اللسان بعده فهو المظهر لمكنون القلب ومخبوء الضمير، ثم تقديم السمع على البصر - وهما من مداخل الإدراك لأن السمع أعم من البصر فلايستطيع الإنسان الحول بين الأذن والأصوات لكنه يستطيع أن يحول دون رؤية ما لايحب رؤيته من المبصرات فسبحان من أدب نبيه فأحسن تأديبه - ﷺ -.

وبهذا نستطيع أن نوجز نكات هذا الحديث البلاغية في ائتلاف اللفظ مع الحال والمقام، وفي الكناية التي أكدت المعنى وأقامت على صحته الدليل، وفي التكرار الذي وقع موقعه من إفادة التعظيم والتأكيد، وفي الطباق الذي أدى دوراً بارزاً في إفادة تأكيد وتعظيم المطلوب، وفي حسن الترتيب الذي بدا في ذكر ماذكر من الأعضاء وقد سمى بعضهم حسن الترتيب هذا بالموضحة وجعله خاصاً بالشعر

فقال (الأبيات الموضحة هي ما اتفق أجزاؤها، وتعاضدت وصولها وكثرت فقرها، واعتدلت فصولها، فهي كالخيل الموضحة والفصوص المجزعة والبرود المحبرة ومثل لها بأبيات من الشعر منها قول زهير :

وفـي الحلم إدهان وفي العفو دربة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق[1] .

ولست أرى وجهاً لقصر هذا النوع على الشعر؛ لأن الكلام المرسل عن أوزان الشعر وقوافيه إذا جاء متفق الأجزاء متعاضد الصلات معتدل الفصول كان بحسن البيان أولى وببراعة التنظيم ألصق، وكان الإبداع فيه أظهر منه في الشعر، وأدل على تمكن قائله في البلاغة وسبقه الشعراء وإن لم يكن شاعراً .

---

(١) انظر معجم البلاغة العربية للدكتور / بدوي طبانة / ٧٢٨ .

الحديث الثاني

عن صهيب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يحرك شفتيه بعد صلاة الفجر بشيء، فقلت يارسول الله: ماهذا الذي تقول؟ قال: «اللهم بك أحاول، وبك أصاول، وبك أقاتل»[1].

هذا الحديث أصل في سلوك الحياة القوية العزيزة التي ربى عليها الرسول الكريم - ﷺ - أمته.

فحياة المسلم - كما يصورها هذا الحديث الشريف - ليست حياة الجاحد المادي بل هي حياة المؤمن الشاكر الرجاع الأبي.

بداية يوم المسلم، ذكر وصلاة ودعاء واستغفار فإذا مافرغ المسلم من صلاة الفجر وتنفس الصبح خرج إلى معترك الحياة - نعم إلى معترك الحياة حيث المحاولة والصيال والقتال، محاولة الأخذ بأسباب الرزق والاحتيال له بأدواته التي شرعها الرزاق سبحانه وتعالى فالمحاولة كما في اللسان[2] - طلب الشيء بحيلة، فإذا أكدت الحيلة ولم توف على القصد. فالمصاولة[3]. أي المغالبة والمواثبة والقهر قهر الصعاب والعقبات، فإذا لم تجد لا هذه ولا تلك فالقتال من أجل أن تعز الحياة وتزدهر، قتال من؟ قتال عوامل الإحباط في النفس - قتال

---

(١) رواه ابن السني رقم/١١٧، وهو حديث حسن لشاهده كما قال الحافظ. انظر الفتوحات الربانية ٣/٧١، والراوي لهذا الحديث لم يترجم له النووي لا في كتاب الأذكار ولا في كتاب ابن السني، والمسمى من الصحابة بهذا الاسم اثنان: صهيب بن سنان المشهور بالرومي، وصهيب بن النعمان. انظر أسد الغابة رقم/٢٥٣٦، ٢٥٣٧- وانظر هامش كتاب الأذكار/ ١٠٥.

(٢) اللسان مادة حول ١١/ ٢٠٠.

(٣) انظر مادة صول في اللسان ١١/ ٤١١.

أعداء الحياة من جراثيم وميكروبات[1] ومن بغاة ومفسدين ومن ظلمة ومعتدين.

هكذا يصور الحديث اليوم الإسلامي للفرد؛ لا تواكل ولا كسل ولا ضعف ولا خور ولا انغماس في لهو الحياة يعقبه كدر، وإنما توكل وعمل وسعي دءوب وأمل.

ومن البلاغة النبوية التي جاء عليها هذا الحديث نختار:

الإيجاز إيجاز القصر - فأنواع الرزق المتشعبة المتفرقة لا تخرج عن أن تكون طيعة غير بعيدة ولا عسيرة فيحتال لتحصيلها بسبب قريب، أو أن تكون بعيدة - عازبة - دونها شعاب وجبال ووديان وتلال وبحار وأنهار لا تنال إلاَّ بالصيال، وإما أن يكون سبيل تحصيلها وعراً صعباً فلا مفر لتحصيلها من ركوب الأهوال، وأيما كانت أسباب الرزق فما سبب منها بمعجز للمسلم؛ لأنه يستعين أولاً بالله، ولأنه قوي لا يرضى الدنية ولا يخشى المزاحمة والمغالبة ولذلك قال ﷺ : «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير احرص على ماينفعك ولا تعجزن**» أخرجه مسلم.

والحديث ألفاظه معدودة وتحت كل لفظ معان ومعان قد تتأبى على الحصر وهذا هو الإيجاز.

وفي الحديث كذلك الإبداع أي الإتيان بالمعاني غير المسبوق إليها من قبل وقد قالوا: خير الكلام ماكان لفظه فحلاً ومعناه بكراً[2].

ومن معاني هذا الحديث تصوير الحياة على أنها معركة يكتب

---

(١) العلم الحديث يقرر أن عدداً كثيراً من الأحياء الدقيقة لا يفتأ يهاجم الكائن الحي وقد أودع الله في كل حي من وسائل التغلب على هذه الأحياء ما لا يحاط به علماً، ولفظ الحديث يحتمله فسبحان من ألهم نبيه وأدبه فأحسن تأديبه.

(٢) معجم البلاغة العربية / ٦٢.

النصر فيها لمن حاول وصاول وقاتل.

وفيه كذلك ترتيب الألفاظ وفق حدوث مدلولها فالبداية محاولة فإذا لم تحقق المحاولة المأمولة فالمصاولة وبعد هذه وتلك المقاتلة.

إذا لم تكن إلاّ الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلاّ ركوبها

وهذا حسن بيان لايستطيعه إلاّ من أوتي جوامع الكلم - ﷺ -.

ومن الملاحظ البلاغية السجع الذي التزم في هذا الحديث وهو سجع عال رفيع لأن المعاني فيه استوفت حقها وحققت هدفها فلم تكن معاني الحديث تابعة للفظ المسجوع، بل كان اللفظ تابعاً للمعنى، وهو سجع قصير الفقرات، والسجع قصير الفقرات أبلغ أنواع السجع، ثم إن هذا السجع يجعل لألفاظ الحديث رنة صوتية تحببه إلى الأسماع وتعين على حفظه وكثرة ترديده، وهذه أمور مندوب إليها لحديث رسول الله - ﷺ - .

الحديث الثالث

عن عبدالله بن أبزي - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد - ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم - ﷺ حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين»[1].

هذا الحديث إعلان وفاء بالعهد والميثاق القائم بين العبد ومولاه سبحانه يرفعه المسلم صبيحة كل يوم بين يدي سعيه في تدبير أمر معاشه ومعاده.

وفي نظم الحديث بلاغة نبوية مصدرها تأديب الله - عز وجل - نبيه ورعايته إياه، وصدق الله ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ**﴾ [الطور: ٤٨] نعم (النبي بأعين القدرة).

زمان الحديث الدخول في الصباح حيث حركة المعاش والمعاد، والحركة الإيمانية حركة هادفة هانئة تسير إلى غاية معلومة في طريق معلوم وسكة لأحبة مضيئة.

كما أنها تبدأ البداية السليمة غير المتعنتة أو المبتسرة أو الطائشة.

بداية يجدد فيها العهد والميثاق ويحدد فيها القول والفعل وتؤصل فيها العادات وتوثق فيها الطاعات والعبادات برباط التأسي

---

(١) ابن السني رقم ٣٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/ ١، ٢، ٣، ٣٤٣، ٣٤٤، واحمد في المسند ٣/ ٤٠٦ و٥/١٢٣ والدارمي رقم/ ٢٦٩١ وهو حديث صحيح.

والاقتداء بالنبي المصطفى الكريم عليه الصلاة والسلام.

بيان ذلك أن الحديث بدأ بإعلان الالتزام بالفطرة التي فطر الله الناس عليها أي بدأ بالوفاء بالعهد الإلهي العام الشامل وهو الإقرار بوجود الله[1]، وهذا إقرار يشهد له ويدل عليه النظر والاعتبار والتجربة والاختبار، والحجة في ذلك قائمة على كل من وهب نعمة العقل وبلغ سن الرشد سليم الحواس.

ثم ثنّى بالجزء الثاني من العهد الإلهي وهو العهد الديني الشرعي والمقصود به وحدانية الله - عز وجل - وهذا الجزء أرشد إليه الأنبياء وجاهد في إقراره الرسل - عليهم الصلاة والسلام - حتى لايتركوا فرصة يتشبث بها إنسان ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾ [محمد : ١٩].

وهذا الجزء موثق للجزء الأول مكمل له فمن أنكر بعثة الرسل ولم يهتد بهديهم فهو ناقض لعهد الله فاسق عن سننه في تقويم البنية البشرية وإنمائها وإبلاغ قواها وملكاتها حد الكمال الإنساني الممكن لها[2].

ثم ثلث بإعلان أن طاعاته وعباداته وعاداته[3] هي على طريق محمد رسول الله.

ثم ختم الحديث بأن السابق ليس ناجماً عن ميل أو بعد عن الحنيفية الأولى التي كان عليها إبراهيم أبوالأنبياء ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**

---

(١) من معاني فطرة الإسلام : الخلقة التي خلق عليها المولود في رحم أمه انظر القاموس مادة فطر ٥٨٧.
(٢) انظر تفسير المنار ١/ ١٧٢، ٢٤٢، ٣٦٥، ٣٦٧.
(٣) من معاني كلمة الدين : العادة والعبادة والطاعة. انظر القاموس مادة دان ١٥٤٦.

قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) ﴾ [النحل].

أرأيت إلى هذا الحديث إن مثله مثل الحياة الجندية التي عرفت بأنها حياة النشاط والنظام إذا صحا الجندي أعلن – قبل بدء تدريباته وتحركاته – ولاءه لبلده ونظامها.

كذلك المسلم إذا صحا يعلن قبل سعيه أنه قائم بالعهد موثق له وعهده وميثاقه أركانه أربعة وجود الله ووحدانيته واتباعه قول وفعل وعمل محمد رسول الله والإقرار بأن محمداً لم يكن بدعاً من الرسل بل دينه دينهم وإخلاصه إخلاصهم وتوجهه توجههم لاسيما خليل الله إبراهيم الذي وصف بأنه ﴿ **كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾.

وفي الحديث من النكات البلاغية ائتلاف اللفظ مع المقام والمعنى.

وفيه كذلك الرمز حيث الكناية التي قلت وسائطها في (فطرة الإسلام) كناية عن الإقرار بوجود الله – عز وجل – فكل مولود يولد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأخذ منهم العهد عليها وهم في عالم الذر. ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٧٢].

وفي كلمة الإخلاص كناية رمزية عن شهادة أن لا إله إلاَّ الله.

وفي قوله - ﷺ - «**وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين**» اقتباس حيث ضمّن - ﷺ - كلامه آية هي قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: ١٢٣].

وفي الحديث كذلك تضمين على معنى المصاحبة في قوله ﷺ: «**أصبحنا على فطرة الإسلام**» إذ التقدير أصبحنا وفطرة الإسلام متصاحبين متلازمين.

وفي ذكر (على) دون (الواو) إشارة إلى أن فطرة الإسلام وما بعدها صارت لنا طريقاً لا نستطيع الابتعاد أو الميل عنه، كما لايملك الماشي إلى غاية إلاَّ ركوب طريقها الموصل.

الحديث الرابع

عن أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي – ﷺ – كان إذا خرج من بيته قال: «باسم الله توكلت على، اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أذل أو أُذل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل عليَّ» وفي رواية الترمذي: **«أعوذ بك من أن نزل، وكذلك نضل، ونظلم ونجهل بلفظ الجمع»**، وفي رواية أبي داود **«ماخرج رسول الله من بيتي إلاَّ رفع طرفه إلى السماء فقال: اللهم إني أعوذ بك....»** وفي رواية غيره **«كان إذا خرج من بيته قال: «اللهم إني أعوذ بك...»**[1].

«كل أمر خطير ذي بال لايبدأ فيه باسم الله فهو أبتر» وأي أمر أكثر خطراً وأعظم بالاً من خروج في باكورة اليوم ابتغاء لفضل الله من رزق أو فتح أو نصر؟

وأي الناس أحرص على استدرار البركة والخير من رسول الله ﷺ – معلم الناس الخير؟

فهذه بداية مناسبة للمقام والمتكلم – عليه الصلاة والسلام – والمتأسي به إلى يوم الدين.

والانتقال من البسملة إلى التوكل على الله – سبحانه وتعالى–

---

(١) رواه الترمذي رقم/٣٤٢٣ في الدعوات باب رقم/٣٥ وقال حديث صحيح، وأبوداود رقم/٥٠٩٤ في الأدب باب مايقول إذا خرج من بيته، والنسائي ٨/٢٦٨ في الاستعاذة باب الاستعاذة من الضلال، وفي عمل اليوم والليلة رقم/٨٥ – ٨٨/ وابن السني رقم/ ١٧٦ وابن ماجة رقم/ ٣٨٨٤ في الدعاء باب مايدعو به الرجل إذا خرج من بيته، وأحمد في المسند ٦/٣٠٦ و٣١٨ و٣٢٢ والحاكم ١/٥١٩ وإسناده صحيح.

انتقال أبر رحماً بسابقه من القول وبمصاحبه من الحركة والانطلاق إلى مظان الرزق والعطاء، فالتوكل تفويض الأمر إلى الله – عز وجل – مع حسن الأخذ بالأسباب وجميل التأتي للأرزاق .

والضارب في الأرض مختلط بالناس معان ماتفرضه ضرورات التواصل والأخذ والعطاء .

وعلاقة المسلم بغيره علاقة عضوية تنشد التكامل والتناصر لكن الأحوال لا تجري على مايروق الإنسان في كل حال.

فكثيراً مايعترض مسيرة نشاط المسلم عقبات العاصي والجاهل والظالم والحاقد ومثل هؤلاء تتخطاهم المسيرة العملية الإسلامية بضربين من الوقاية والاحتماء.

أولهمـا : اللجوء إلى الخلاق العظيم بأن يصرف هؤلاء.

وثانيهما : أن يوفق الله عبده إلى الحلم والأناة والصبر والقدرة على النفس والتحكم في الشهوة الغضبية التي لكل منها نصيب قل أو كثر.

وقد قدم الرسول الكريم التعوذ من صدور الفعل منه على صدوره من الغير مراعاة لمرتبة الفعل، فتأثير النفس فيما يصدر من العبد أقوى وأغلب من تأثير ماسواها حتى إن عداوة الشيطان للإنسان وتأثيره فيه تأتي بعد عداوة النفس لصاحبها وتأثيرها عليه.

والرسول – ﷺ – معصوم من كل ذلك ولكن مقام التعليم اقتضى عبارته أن تسلك هذا النهج فهو داعي الله، وهو الداعي إلى

(١) فتح القدير ٥/ ٥١٤ رقم/ ٨١٥٣، انظر البيان المحمدي/ ٧٣٥.

(٢) أخرجه مسلم وأحمد في مسنده وأصحاب السنن. انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٦/ ٣٩٣ ومابعدها.

الله بقوله وفعله فدعاؤه لنفسه من باب العبودية الشاكرة ثم هو للمسلمين كافة من باب التعليم بالتأسي والاقتداء.

وفي ترتيب المستعاذ منه بلاغة نبوية فالخارج من بيته يعنيه أول مايعنيه معرفة الطريق والوسيلة فمن عرف الطريق لا يتحير ومن لم يتحير يلزم.

ثم اللازم للطريق غير المتحير لايخلو حاله من ملاقاة ناصح وكاشح فالكاشح يحاول الإضلال وربما زين إضلاله بضروب من التمويه والمكر، والمأمول الله في النجاة من هؤلاء.

ثم السائر في الطريق الصحيح قد لايسلم من زلفة تزل فيها رجله أو يزل فيها منطقه ولسانه وقد يكون ذلك من نفسه وقد يكون من غيره والمنجي منهما الله الذي ينجي عباده المتقين.

ومن سلم من الخطرين السابقين شارف النهاية وأوشك على بلوغ الغاية فالمسؤول الله في حمايته من ظلم النفس وظلم الغير سواء أكان الظلم بالفعل أم بالقول فكلاهما ظلم نسأل الله أن يسلمنا منه.

وفي الحديث إطناب بالتكرار المعنوي ذلك أن الصفات الأربع التي استعاذ منها رسول الله - ﷺ - يجمعها في حقيقة الأمر صفتان فمن لم يضل أو يضل مهدي إلى طريق مستقيم سالم من العثرات والعقبات ومن لم يظلم بارئ من الجهل والغضب سواء أكانا صادرين منه أم صادرين من غيره.

ومقام الدعاء هنا يقتضي ذلك الإطناب كما يقتضي الإلحاح والإلحاح مذموم إلاَّ في الدعاء.

وفي الحديث السجع المطرف وهو منقبة أدبية إذا جاء تابعاً للمعنى لا تصنع فيه ولا تعمل، ومقام الدعاء يقتضيه تحسيناً للقول

ومدعاة للتكرار وترطيباً للألسنة وتقوية للمعنى ومناسبة للمقام.

والدعاء في الحديث سلك طريق التعظيم تعظيم المدعو - عز وجل - وآية ذلك تفويض الأمر إلى الله «**باسم الله توكلت على الله**» وفي النداء المراد به التعظيم في «**اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل....**».

وتعظيم المدعو به وآية ذلك الإتيان بكل الجمل جملاً رئيسية فليست هناك جملة من جمل الحديث قيداً لجملة أخرى.

وكذلك التعميم في المستعاذ منه وآية ذلك قطع كل الأفعال في الحديث عن المفعول في «**أعوذ بك أن أضل**».. لم يذكر عليه الصلاة والسلام في أي شيء إفادة للعموم والشمول وكذلك بقية الأفعال.

وفي بناء الفعل لما لم يسم فاعله تأكيد لإفادة العموم وتقوية له، وفيه كذلك دلالة على أدب نبوي فالمطلوب حماية من أذى المؤذي دون تعرض لتحديده تعففاً وصوناً للسان عن ذكره وتحسباً لأن يهديه الله فلا يكون في ذكره تسجيل عليه.

وفي الحديث أيضاً إيثار الخبر على الإنشاء «**إني أعوذ بك أن أضل أو أضل**» دلالة على الثقة في الإجابة وأنها ليست شيئاً يطلب وإنما هي شيء حاصل متحقق.

وفيه كذلك منقبة بلاغية أخرى هي الترتيب وهو أن تذكر أوصاف الشيء مرتبة ترتيبها في الخلقة، ولا يدخل المتكلم فيها وصفاً زائداً عما يوجد علمه في الذهن أو في العيان[1] فالأشياء التي تعترض العامل لا تخرج عما جاء في الحديث الشريف، ثم هي في

---

(١) انظر معجم البلاغة العربية/ ٢٣٩ - ولست أرى وجهاً لقصر الترتيب على الشعر - كما ذهب التيفاشي الذي استخرج هذا الفن وسماه بهذا الاسم.

الوجود مرتبة الترتيب الذي سلكه المصطفى - عليه الصلاة والسلام في نظمه الشريف وقد سبق توضيح ذلك في بداية تحليلنا لهذا الدعاء النبوي الشريف.

وفي الحديث كذلك تأكيد للمعنى بالطباق في «**أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يُجهل عليّ**».

الحديث الخامس

عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا رجع من النهار إلى بيته يقول: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، والحمد لله الذي أطعمني وسقاني، والحمد لله الذي من عليَّ أسألك أن تجيرني من النار»(١).

في الحديث انسجام العبارة حتى لكأن الكلام بسهولة سَبْكِه وعذوبة ألفاظه وسلامة تأليفه ماء يتحدر.

ولذلك كان وقعه في النفوس أمكن، وأثره في القلوب أبين، وترداده على الألسنة أسهل، إنه جمع محاسن الشعر مع أنه ليس شعراً؛ فالعبارة متوازنة انظر «**الحمد لله الذي كفاني وآواني، والحمد لله الذي أطعمني وسقاني**» وفي الحديث ائتلاف اللفظ والمعنى والمقام.

فالبداية حمد لله حمداً مؤكداً على مامنح وأعطى، وفي هذه البداية براعة استهلال استلهمها النبي المصطفى الكريم من تأديب ربه إياه، فبداية القرآن الكريم الحمد لله، وبداية الصلاة الحمد لله، وبداية كل دعاء الحمد لله ويوم يدعو الله الناس للقيام من قبورهم يستجيبون

---

(١) ابن السني رقم/١٥٨ وفي إسناده مجهول ولكن لبعض فقراته شواهد انظر الفتوحات الربانية ١/ ٣٥٤، ٣٥٦.

وقد حسن الحديث الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قال ليس في رواته من ينظر في حاله إلاّ الرجل المبهم الراوي له عن ابن عمرو وقد وجدت له شاهداً أخرجه ابن أبي شيبة والبزار من حديث عبدالرحمن بن عوف فالحديث حسن..

انظر تحفة الأبرار بنكت الأذكار للحافظ ابن حجر جمعها الحافظ جلال الدين السيوطي وانظر تذييل كتاب الأذكار للنووي ص/ ٣٥.

بالحمد لله – قال تعالى:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾

[الإسراء: ٥٢].

وفي الحديث صحة التقسيم فقد قسم النبي الكريم كلامه قسمة مستوية تحتوي على جميع الأنواع.

فماذا بعد الكفاية والإيواء والإطعام والسقيا من مطلب؟

ولقد كان تقسيم الدعاء النبوي تقسيماً حكيماً مرتباً فقدم الحمد على الرضا النفسي ثم ذكر عقيبه الحمد لله على الرضا الحسي، وما من شك في أن النفس إذا رضيت كانت الحياة كلها راضية ثم كان الحمد الخاتم على ما من به الله على عبده.

وإطلاق الفعل منَّ من غير ذكر للممنون به يدل على الكثرة الكاثرة فما أكثر منن الله وما أعظمها **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [النحل: ١٨].

وفي تكرار جملة «الحمد لله» تأكيد لتعظيم الله – عز وجلَّ – وإعلان للحب الأوفى.

وفي ذكر الإيواء بعد الكفاية، والسقيا بعد الإطعام ائتلاف اللفظ مع اللفظ وضم النظير إلى نظيره.

وبناء جمل الدعاء على الأفعال الماضية «كفاني – آواني – أطعمني – سقاني – منَّ عليَّ» مشعر بالثقة في الله – عز وجل – وتحقق وقوع الفعل فكأن الكفاية والإيواء والإطعام والسقيا والمنّ واقعة متحققة مع أنها في الحقيقة أمور متجددة حادثة ولكن دعاء الواثق

الذي يعلم أن الله مجيب دعاءه فالمدعو به ليس في طريق الكون والحدوث وإنما هو واقع كائن.

وفي ختم الدعاء النبوي بسؤال الله الإجارة من النار تتميم واحتراس محا به الرسول الكريم مايمكن أن يتبادر إلى بعض الأذهان أن نعيم الدنيا استولى على الذهن حتى نسّي الآخرة؛ حاشا رسول الله عن ذلك فما كان أذكره للآخرة - ﷺ - .

الحديث السادس

عن عبدالرحمن بن جبير التابعي أنه حدثه رجل خدم النبي ﷺ- ثماني سنين، أنه كان يسمع النبي - ﷺ - «إذا قرب إليه طعاماً يقول : باسم الله، فإذا فرغ من طعامه قال: اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت»[1].

للطعام بركة ومن المعلوم أن الكثرة من البركة وليست البركة من الكثرة وبركة طعام رسول الله - ﷺ - روي عنها الكثير[2].

وسبب بركة الطعام ذكر الله والتسمية في بدايته، وحمد الله وشكر النعمة في نهايته.

وخير الذكر ماعلمه الرسول الكريم أمته لأنه - عليه الصلاة والسلام -

«**ماينطق عن الهوى**»، ولأن بلاغة الرسول الكريم لاتدانيها بلاغة فمن دعا بدعاء رسول الله - ﷺ - فقد حقق البركة في الغذاء والبركة في القول والتعبير.

وأول ماتلحظ في هذا الدعاء الاكتفاء بصيغة «باسم الله»،

---

(١) رواه ابن السني رقم/ ٤٦٥، وأحمد في المسند ٤ / ٦٢، ٣٣٧، ٥ / ٣٧٥ وهو حديث حسن، وعند الحافظ صحيح.

أقنيت : أعطيت مايقتنى ويسكن إليه، تقول العرب : من أعطى مائة من المعز فقد أعطى القنا، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطى الغنى ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطى المنى والقنى والرضا، وأقناه الله: رضاه ويقال: قنيت به: أي رضيت به.

انظر اللسان قنى ٢٠ / ٦٣ ومابعدها.

(٢) انظر باب علامات النبوة في صحيح البخاري، وباب صفة النبي - ﷺ - في موطأ الإمام مالك ٢٩٧، ٢٩٨.

وعدم تكملة البسملة وفي هذا مناسبة ورعاية لحال الإنسان وللتيسير الذي عليه مدار التكاليف الإسلامية جميعها.

فشهوة الطعام خصوصاً عند اشتداد ثورة الجوع لا تناسبها الإطالة بل يكفي في حصول الذكر أن يصدر عن الآكل مايفيد أنه مع الله وأن النهم لم يحل بينه وبين ذكر الله - عز وجل - فالإيجاز هنا صادف موقعه تماماً.

فإذا مافرغ الإنسان من تناول طعامه كان الهدوء الذي ناسبته العبارة النبوية بهدوء توقيعها واستقصاء أساليب الكشف عن الراحة النفسية والرضا العام.

وفي العبارة النبوية كان التناسب التعبيري آكد فقد رتب الرسول الكريم ألفاظه ترتيباً متوافقاً ووقوع الأحداث، فالطعام استلزم الشراب وكلاهما كان نتيجة لغنى وجدة صدرا عن محض فضل الله وهدايته، والإطعام والسقيا وتوابعهما أحيت الجسد، والدلالة على الخير خير الدنيا والآخرة أحيت الإيمان وجددته.

وهذه الأمور جميعها تستلزم حمد الذي أعطى ومنّ - عز وجل وفي جمع هذه الأحداث منقبة بلاغية سماها أبوهلال العسكري جمع المؤتلف والمختلف[1]. وهو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة متفقة أو مختلفة.

ومثالها قول الله - تعالى -

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

---

(١) انظر معجم البلاغة العربية/ ١٣٢.

وقد أخرج النبي - ﷺ - معانيه في صورة من حسن البيان موضحة لها موصلة إياها إلى ذهن السامع وفهمه بأقرب الطرق وأسهلها[1].

وفي الحديث سجع متوازن قصير الفقرات خدم الغرض ورنم الصوت ومثل المعنى وسهل الحفظ.

والعاطفة في حديث رسول الله ﷺ - مشبوبة حارة وفي الدعاء على وجه الخصوص تجد تأثير العاطفة أوضح ما يكون، يتجلى ذلك في الحديث الذي بين أيدينا فيما يلي:

١- رد كل الأفعال إلى الله - عز وجل - والتبرؤ من القوة والحول.

٢- التعبير بأسلوب الخطاب الذي يقتضي القرب ويناسب المناجاة.

٣- قصر الحمد على الرزاق - سبحانه - بتقديم الخبر على المبتدأ في «لك الحمد».

٤- حذف المفعول في «ما أعطيت - إفادة للكثرة والعموم واستمرار العطاء فليس عطاء الله منقطعاً عن عباده ولو لطرفة عين».

---

(١) انظر معجم البلاغة العربية/ ١٦٥.

الحديث السابع

عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله - ﷺ - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال : عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال: ويسمي حاجته[1].

حياة المسلم ثابتة الخطوات طيبة المقاصد نظيفة الوسائل والأسباب وليست كحياة من قال :

ولا أدري إذا يممت أرضاً	**أريـد الخـير أيهـما يليني**
أألخـير الـذي أنا أبـتغيه	**أم الشر الذي هو يبتغيني**

---

(١) البخاري رقم/١١٦، في التهجد: باب ماجاء في التطوع مثنى مثنى، ورقم/٦٣٨٢ في الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، ورقم/ ٧٣٩٠، في التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿ **قل هو القادر** ﴾.
وابوداود رقم/١٥٣٨، في الصلاة: باب الاستخارة، والترمذي رقم/ ٤٨٠، في الصلاة: باب ماجاء في صلاة الاستخارة.
والنسائي ٦/ ٨٠، ٨١ في النكاح : باب كيف الاستخارة، وفي (عمل اليوم والليلة) رقم ٤٩٨، وابن السني رقم/٥٩٦، والبخاري في (الأدب المفرد) رقم/٧٠٣ وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٤، وابن ماجة رقم/ ١٣٨٣ من إقامة الصلاة باب ماجاء في صلاة الاستخارة. (انظر الأذكار/ ١٦١).

لأن حال المسلم خير كله - ماكان على طريق الجادة طريق الإيمان طريق السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

والنفس البشرية عامة لا تشبع من الخير، ولاتثريب في ذلك فالله يقول ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ [البقرة : ١٤٨]، والخير الحقيقي هو مايقدره الله لعبده ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة : ٢١٦].

من أجل ذلك سن النبي - ﷺ - للأمة دعاء الاستخارة، وعلم أصحابه كيف تكون؟ وحضهم على اللجوء إليها كلما هموا بأمر حتى ولو كان غير ذي بال.

ودعاء الاستخارة من الأدعية التي جاءت على طريق الإطناب، ووسائله في الحديث:

الترادف المعنوي المنتج للتقوية والتأكيد في «أستخيرك بعلمك.. فإنك تعلم ولا أعلم، أستقدرتك بقدرتك فإنك تقدر ولا أقدر» ثم اختتام الفقرة بقوله - عليه الصلاة والسلام - **وأنت علام الغيوب**.

وكذلك في «**إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي**...الخ الفقرة، وإتباعها «**وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي**.. الخ الفقرة. وكذلك في فاصرفه عني واصرفني عنه.

ومن وسائله أيضاً التذييل[1] في العبارة السابقة فقد جاءت جملة «**فإنك تعلم ولا أعلم**» كالعلة لجملة (**استخيرك بعلمك**) كأن

---

(١) التذييل عند البلاغيين هو الإتيان بجملة مستقلة عقب الجملة الأولى التي تشتمل على معناها للتأكيد، والتذييل في هذا الحديث اخرج مخرج المثل.

سائلاً سأل لماذا تستخير؟ فقال : لأن الله يعلم ولا أعلم وهو علام الغيوب وكذلك «فإنك تقدر ولا أقدر» بعد قوله – عليه الصلاة والسلام – استقدرك بقدرتك.

وفي اجتماع الترادف المعنوي والتذييل إفادة للتبرؤ من الحول والاختيار وهما أس الاستخارة إذ لو اختار الإنسان فلِمَ يستخير؟

وفي الحديث حسن الترتيب حيث رتبت الألفاظ وفق ترتيب المعاني في الذهن وفق حدوث الأفعال في الواقع وآية ذلك قوله ﷺ – «**فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه**» فتقدير الله أولاً ثم تيسير الأسباب الموصلة إلى ماقدر الله ثانياً، ثم حصول المقدور لتحل البركة فيه أخيراً.

ولم يذكر النبي حصول المقدور لأن الله إذا قدر شيئاً وأراده وقع فلا حاجة للذكر.

ومن وسائل الإطناب كذلك في هذا الدعاء ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم، وآية ذلك في الحديث قوله – عليه الصلاة والسلام – «**واقدر لي الخير حيث كان**» فهذه العبارة جعلت الخير بعمومه مطلباً لمن دعا بهذا الدعاء في أي مكان وبأي أرض وجد، ليستقر في كيان المسلم أن الخير ليس محصوراً فيما هم به وإنما أوجه الخير وأنواعه ومظانه كثيرة فإن فاته تحقيق البغية فيما عنّ له فلن يفوته الخير فيما لم يظهر له من خير مذخور لا يعلمه إلاّ الله.

وقد حرص الدعاء على الاحتشاد لتعيين الخير وتمييزه عن الشر فاعتمد الإتيان بالمعنى وضده «**إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي.. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي...**» طمعاً في عطاء الله. والطمع مذموم إلاّ إذا كان فيما عند الله، ومن شروط الدعاء أن يعزم

الداعي في طلبه يطلب الطلب ملحاً بعزيمة قوية واثقة «**إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولايقولن: اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له**» رواه البخاري في الدعوات.

الحديث الثامن

عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «اللهم لا سهل إلاَّ ماجعلته سهلاً، وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلاً»[1].

هذا دعاء كان يدعو به رسول الله - ﷺ - إذا استصعب عليه أمر[2] ولذلك جاء الدعاء في الحديث مشبهاً الحياة بالأرض ومشبهاً أمور الحياة وعوارضها بمسالك الأرض منها السهل المستوى اللين والغليظ الصعب الخشن.

والحياة قمينة بأن تكون مثل الأرض تنوعاً وسعة واختلاف حالات.

فكلتاهما في حركة لا تهدأ، ففي الأرض باطنها ما لا يعلمه إلاَّ الله من معادن وأحياء.

وعلى الأرض ظاهرها ما لايحيط به علماً إلاَّ الله : من جبال ووديان وعيون وآبار، وأنهار وبحار، ونجم وأشجار، وحيوان مختار وغير مختار.

وكذلك أمور الحياة يعرض فيها - جملة - من الحدثان مايجل عن الوصف ويستعصي على الإحصاء.

---

(١) الحزن : بفتح الحاء وإسكان الزاي : هو غليظ الأرض وخشنها.
والسهل : هو المستوى من الأرض الذي يسهل المشي عليه.
والحديث رواه ابن السني رقم/٣٥١، وابن حبان في صحيحه/٢٤٢٧، وهو حديث صحيح - كما قال الحافظ.

(٢) انظر كتاب الأذكار للنووي/١٦٩.

ويعرض فيها للحي من الأمور المختلفات مالايخطر بالبال فمن صحة إلى سقم، ومن حركة إلى سكون، ومن يقظة إلى منام، ومن نشاط إلى فتور، ومن شبع إلى جوع، ومن ظهور إلى خفاء، ومن ومن... مما لا إحاطة به لإنسان.

وإذا كان الله - عزَّ وجلّ - قد خلق هذه الأمور وسخرها للأسباب فليست الأسباب - وحدها - بموصلة إلى النتيجة المرجوة في كل وقت وآن.

وإنما توفيق الله وحسن التوكل عليه هو سبب الأسباب.

صحيح أن الأسباب موصولة بالتوفيق - بإذن الله - لكن ليس على الدوام فكثيراً مايتوفر الفرد منا على السبب إتقاناً وتنفيذاً ولا يصل إلى مايرجو ويؤمل من النتائج، حينئذٍ يكون الملجأ والملاذ التوجه إلى خالق الأسباب ومحقق الغايات بما دعا به رسول الله - عليه الصلاة والسلام - «**اللهم لا سهل إلاَّ ماجعلته سهلاً**، **وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلاً**».

ومن الملاحظ البلاغية - غير الاستعارة - في هذا الحديث التعبير بالجملة الخبرية لفظاً الإنشائية معنى في قوله - ﷺ - «**وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلاً**» فهذه الجملة في قوة «**اللهم اجعل الحزن سهلاً**» وفائدة العدول إظهار كمال الثقة في الاستجابة وتحقق المدعو به.

وقد عرف النبي الكريم الحزن المبتغى تسهيله بالألف واللام تسويراً له وحصراً ونكر المبغي تعظيماً له وتعميماً.

وتأكيداً لثقة رسول الله - ﷺ - في استجابة الدعاء استعمل أداة الشرط «إذا» فقال «**وأنت إذا شئت تجعل الحزن سهلاً**» لما في «إذا» من تأكيد حدوث الجواب وتحققه.

ومن وسائل إظهار الثقة في تحقق المدعو به الحصر في قوله – عليه الصلاة والسلام – «**لا سهل إلاَّ ماجعلته سهلاً**» حيث نفى الرسول الكريم السهل نفياً مؤكداً ثم استثنى منه سهلاً واحداً هو ماجعله الله – عز وجل – سهلاً وفي هذا القصر الذي ابتدئ به الحديث براعة استهلال حيث قدم – عليه الصلاة والسلام – بين يدي دعائه البراءة من الحول والطول حتى يستفرغ الحالة والمقام لحول وطول الرحيم المنان.

الحديث التاسع

عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – كان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»[١].

من الثابت الآكد أن النبي – ﷺ – كان دائم الخشية لربه – سبحانه – لأنه العظيم، ولأن النبي – ﷺ – عالم عظيم **﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** [فاطر: ٢٨].

والخشية من الله تنتج الأمن الدائم الشامل فمن خشي الله لا يخاف شيئاً مهما خطر، لكن لا تخلو من خطر فريق هم شر الناس يتجنبهم الناس اتقاء لشرهم، فماذا يكون الحال لو تجنب العبد هؤلاء ولم يتجنبوه وأقبلوا عليه تقدح عيونهم الشرر؟

أقرب الطرق المؤدية إلى النجاة الالتجاء إلى الله بما سنه رسول الله – عليه الصلاة والسلام – في هذا الدعاء؛ فإن دعاء الله – كما علمنا رسول الله – يحول بيننا وبينهم ثم الأخذ بالأسباب المادية لدفع أذاهم والقضاء على شرهم.

---

(١) أبوداود رقم (١٥٣٧) في الصلاة: باب مايقول إذا خاف قوماً، وأحمد في المسند ٤/٤١٤، ٤١٥ والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم/٦٠١، وابن السني رقم/٣٣٣، وابن حبان ٢٣٧٣، والحاكم ٢/١٤٢، وهو حديث صحيح، كما قال الألباني في صحيح الجامع رقم/٤٥٨٢، انظر (الفتوحات الربانية) ٤/١٦,١٧.

ولذلك كان الدعاء «**اللهم إنا نجعلك في نحورهم**» أي تصد صدورهم، «**ونعوذ بك من شرورهم**» أي تدفع شرورهم وتكفينا أمورهم وتحول بيننا وبينهم.

يقال جعلت فلاناً في نحر العدو أي قبالته وحذاءه ليقاتل منك ويحول بينك وبينه، وإنما خص النحر بالذكر لأن العدو به يستقبل عند المناهضة للقتال[1].

وفي الحديث من الملاحظ البلاغية الإيجاز، لأن المقام يقتضيه فالموقف موقف فجاءة مخيفة، والمخوف منهم شريرون شرهم متعدد لايحيط به إلاَّ القهّار – عز وجل – الذي يعلم السر والعلن، ففي كلمة « شرورهم » إجمال إذا فصل أعطى الكثير من الأنواع لكن مقام الدعاء، وعلم المدعو – سبحانه – يأبيان هذا التفصيل ويقتضيان القصد والإيجاز.

وفيه كذلك حرارة العاطفة والموقف – هنا – أحق بحرارة العاطفة، ومن وسائل إظهارها: العزم الأكيد في الطلب «**إنا نجعلك في نحورهم**» بعد نداء التعظيم « اللهم » وفيه الثقة الواثقة في استجابة الدعاء وأمارة ذلك العدول عن الإنشاء إلى الخبر فلم يقل النبي «**اللهم كن في نحورهم وأعذنا من شرورهم**» بل قال قولة الواثق المطمئن «**إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم**» **فأحسن الظن بالله – عز وجلَّ – والله يقول (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني.....)**[2].

وفي الدعاء الكناية عن الصد المانع والقهر الغالب في « إنا نجعلك

---

(١) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤ / ٣٩٥ ومابعدها.

(٢) من حديث رواه أبوهريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – ﷺ – يقول الله – سبحانه وتعالى – « أنا عند حسن ظن عبدي.... » الحديث (أخرجه البخاري في التوحيد. انظر شرح السنة/ ٢٧٣).

في نحورهم».

وفيه كذلك السجع الخادم للمعنى المحسن للفظ حيث تواطئت الكلمتان الأخيرتان في العبارتين «نحورهم» و«شرورهم» على حرف واحد.

وليس أحد بقادر على التعبير الموجز - البالغ حد الروعة في عمق الفكرة وجمال الأسلوب - في موقف الشدة والخوف إلاَّ من أوتي جوامع الكلم - ﷺ -.

الحديث العاشر

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ماهبت الريح إلاّ جثا النبي - ﷺ - على ركبتيه وقال: «اللهم أجعلها رحمة ولاتجعلها عذاباً، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[1].

الفرد المسلم بين خوف ورجاء والمبدأ الإسلامي تغليب الخوف على الرجاء.

وقد صحت الآثار المروية عن معلم الناس الخير - عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا رأى حدثاً كونياً مما أهلك الله به الكافرين السابقين تغير وجهه، وقد سئل عن سبب تغيره حين يرى غيماً في السماء فقال ومايؤمنني أن يكون فيه عذاب؟، عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿**هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا**﴾ [الأحقاف: ٢٤].

والدعاء الذي معنا يسير في هذا الاتجاه ليصل إلى الغاية التي اجتهد لترسيخها رسول الله أيما اجتهاد وهي الاعتصام بالله ومداومة الذكر والدعاء في كل الأوقات مستغلاً الظواهر الكونية وتنوعها في اللجوء إلى الله والسكن إليه.

وهذا الدعاء موجز العبارة دقيق المعنى فيه تأثر واضح بكتاب الله، وآية ذلك قوله - ﷺ - «**اللهم اجعلها رياحاً ولاتجعلها ريحاً**» فكلمة الرياح في القرآن الكريم كثر استعمالها مع البشرى والرحمة،

---

(١) الأم ١ /٢٥٣، قال الحافظ بعد تخريجه: هذا حديث حسن أخرجه البيهقي في المعرفة.

وقلما جاءت كلمة الريح في القرآن إلاَّ مع العذاب والشدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [القمر: ١٩]. وقال: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] وأما الرياح فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم: ٤٦].

وقد اعتمد الدعاء في تقرير المعنى وتأكيده على التقابل اللفظي والترادف المعنوي فقابل بين «الرحمة والعذاب» في «**اجعلها رحمة ولاتجعلها عذاباً**» وقابل بين «الرياح» و«الريح» في «**اللهم اجعلها رياحاً ولاتجعلها ريحاً**» كما قابل مقابلة الإيجاب والسلب بين «**اجعلها ولا تجعلها**» في العبارتين، والتقابل مما يؤكد المعنى ويقويه ويجليه فالضد يظهر حسنه الضد – كما يقولون – .

أما الترادف المعنوي ففي «**اجعلها رحمة، ولاتجعلها عذاباً**» لأنها إذا كانت رحمة فلن تكون عذاباً، وإذا كانت رياح خير فلن تكون ريح شر ولكن العزم في الدعاء والثقة في إجابته أبت إلاَّ أن يكون الأسلوب قوياً مؤكداً.

والدعاء النبوي في هذا الحديث لزم أسلوب الطلب بفعل الأمر اجعل وبلا الناهية لاتجعل، لأن المقام يقتضي ذلك فالمقام مقام وجل وخضوع وتلهف كما يوحي بذلك جثوه – ﷺ – على ركبتيه، والملهوف تكون استغاثته سريعة مباشرة – لاينهض بها إلاَّ الطلب السريع المباشر.

الحديث الحادي عشر

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ - كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤)﴾ [الزخرف].

«اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»(١).

والسفر مظنة التقصير لمايصحبه من الشواغل النفسية، والشواغل الاستعدادية، والإنسان ساعة يشرع في السفر عرضة للتقصير فيما طلبه منه ربه من الطاعات.

ورسول الله - ﷺ - ناصح لأمته حريص عليها بالمؤمنين رءوف رحيم، يشرع لهم بقوله وفعله مايجعلهم ذاكرين الله - عز وجل - في كل أحوالهم ومتقلبات حياتهم.

والسفر أحد أسباب عوارض الحياة التي قلما تخلو منها حال

---

(١) مسلم رقم/١٣٤٢، في الحج: باب مايقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، والترمذي رقم/٣٤٤٤ في الدعوات: باب ماجاء فيما يقول إذا ركب الدابة، وابوداود رقم/٢٥٩٩ في الجهاد: باب مايقول الرجل إذا سافر، وأحمد في المسند ٢ / ١٤٤ و١٥٠ والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/٥٤٨.

إنسان لذلك كان هذا الدعاء النبوي سياجاً حامياً للمسافر يحفظ - بإذن الله - عليه دينه ودنياه.

وقد جاء دعاء السفر على الإطناب[1] لما في السفر من وفور الحركة وتزاحم الشواغل، وطول الطريق، وبعد الغاية، وألم الفراق، وعميق الفكر فيما يأخذ المسافر وفيما يترك، وفيما يفعل أو يدع، وفيما يوصي لأهله وولده وفيما يكون إذا بلغ الغاية، أو قصر دون الوصول إليها، وكيف الوصول؟ ومن أين الطريق؟ السفر شدة بل هو - كما جاء في الحديث - قطعة من العذاب، والإطناب في أصل اللغة مأخوذ من قولهم: أطنبت الريح إذا اشتد هبوبها وأطنب الرجل في سيره: إذا اشتد فيه[2] فبين السفر والإطناب في الدعاء المخصوص به مناسبة أي مناسبة لم تكن لتغيب عن المعصوم أفصح الفصحاء - ﷺ -.

ومن أنواع الإطناب في الحديث التفصيل بعد الإجمال فقد أجمل - ﷺ - المطلوب في «**هون علينا سفرنا هذا**» وفصله فيما تلا هذه الجملة فقال «**اللهم أنت الصاحب في السفر**» نوع من التهوين والتسهيل، وأنت الخليفة في الأهل كذلك، والتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب كل هذه أنواع من التهوين.

وفي دعاء السفر حسن توسل لتحقيق المطلوب يتجلى في سؤال الرسول ربه التوفيق إلى البر وهو اسم جامع لكل معاني الخير، وإلى التقوى وهي الحائل الهائل بين العبد وغضب الله - سبحانه -، وإلى العمل المرضي عنه من الله - عز وجل -، ثم الانتقال من هذه

---

(١) الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة من غير ترديد.

(٢) اللسان ٢/٤٩ ومابعدها.

المطلوبات العامة التي لا تختص بحالة أو وقت أو مكان إلى مطلوب خاص هو تهوين السفر وطي بعده، ثم الترقي إلى ما لا يكون إلاَّ لمن حقق القرب من المولى - عزّ وجلّ - وهو المعية العظمى معية الله - عز وجلّ - التي يتحقق بها خير مطلق يظهر أثره في شخص الداعي وفيما يخلف وراءه من أهل ومال.

وفي هذا الدعاء أيضاً ترتيب لفظي متوافق كل التوافق مع الترتيب المعنوي فأول ما بدأ به الرسول - عليه الصلاة والسلام - سؤال الله البر وهو الخير في عمومه ثم التقوى وهي الوقاية من غضب الله وعذابه ثم العمل المحقق لرضا الله - عزّ وجلّ - ثم طلب تهوين السفر وطي بعده ثم التعوذ من وعثاء السفر وهي مشقته وشدته، والوعث ما غابت فيه الحوافر والأخفاف من الرمل الرقيق والدهاس من الحصى الصغار وشبهه - هكذا قال الأزهري - أو هو فساد الأمر واختلاطه.

والمستعاذ بالله منه في هذا الدعاء يحتملهما فالنبي - عليه الصلاة والسلام - يستعيذ بالله من شدة السفر عموماً سواء أكانت شدة محسوسة أم كانت شدة معنوية متعلقة بفساد الأمر واختلاطه، ثم ينتقل إلى التعوذ بالله من كآبة المنظر أي من تغير النفس بالإنكسار من شدة الهم والحزن.

ويختم دعاءه - ﷺ - بالاستعاذة من سوء المنقلب في الأهل والمال - والمنقلب يكون مكاناً ويكون مصدراً ولعله في الحديث هنا بمعنى الانقلاب من السفر والعود إلى الوطن يعني أنه يعود إلى بيته فيرى فيه مايحزنه[1].

---

(١) راجع في معنى وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب لسان العرب ٣/٢٤، ٢٥ و٢/١٨٨ و٢/١٨٠.

وعند إرادة الرجوع يدعو – عليه الصلاة والسلام – الدعاء نفسه ويزيد عليه «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**» زيادة مناسبة للمقام فقد منّ الله عليه بإتمام سفره وتحقيق بغيته فهو آيب أوبة الظفر التي يناسبها الفرح، وفرح المسلم فرح مقنن ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٥٨]، فلابد أن يلي التصريح بالأوبة التصريح بالتوبة التي تعني الرجوع إلى الله والانقطاع إليه بالعبادة والحمد.

وفي الحديث من الملاحظ البلاغية الاستعارة المكنية في قوله ﷺ «**اطو عنا بعده**» فقد شبه بعد الطريق بفراش طويل ممتد يطوي تشبيهاً مضمراً في النفس ثم حذف المشبه به ورمز إليه بصفة من صفاته وهي الطي، وفي هذه الاستعارة مايوحي بحصول المطلوب وسهولته وسرعته، فطي الفراش أسرع وأسهل من بسطه فيما جرت به العادة ومألوف الحياة.

وفيه كذلك الكناية في قوله – ﷺ – «**اللهم أنت الصاحب في السفر**» كناية عن الملازمة بالعناية والحفظ.

وفيه كذلك الطباق بين الصاحب والخليفة، وفيه السجع المحمود في آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون.

وفيه تقديم متعلق الفعل «**لربنا حامدون**» على عامله إفادة للاختصاص.

وفي أول الحديث الاقتباس من القرآن الكريم ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾**﴾ [الزخرف].

ولتأكيد الثقة في استجابة الله - عز وجلّ - الدعاء غلب الأسلوب الخبري على الأسلوب الإنشائي فقال - ﷺ **«اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى»** وقال: **«اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل»**. وقال **«اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر»**...الخ. وكلها أخبار لفظاً إنشاء معنى، ولم يأت إلاَّ بإنشاء واحد وهو قوله - ﷺ - **«اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده»**.

الحديث الثاني عشر

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ - إذا رجع من سفره، فدخل على أهله قال: «توباً توباً لربنا أوباً لايغادر حوباً»(١).

من خصال الخير التي أرسى دعائمها وأقام بناءها معلم الناس الخير محمد - ﷺ - عدم الفصل بين عمل للدنيا وعمل للآخرة، والنظر إلى الدنيا على أنها مزرعة للآخرة وأن أي عمل مشروع مهما كان إغراقه في تلبيته المطالب الدنيوية النظيفة إذا أضيف إليه نية التقرب إلى الله والتقوي به على مرضاته أصبح عملاً للآخرة يؤجر عليه العبد ويحسب في ميزان حسناته يوم القيامة - إن شاء الله.

ودعاء الأوب من السفر الذي بين أيدينا شاهد على ذلك فإن المعصوم - عليه الصلاة والسلام - لم يلهه الوصول والاستقرار ولقاء الأهل وفرحة السلامة عن ذكر الله، ولم يجعل السفر سفراً لمصلحة دنيوية وحسب، بل جعله لهذه ولأحداث التوبة وتجديدها في آن.

ولأنه - ﷺ - صاحب ميزان قسط يزن به أعماله وأقواله وفق مقتضيات الأحوال ومتصرفاتها لم يطنب في القول، بل آثر الإيجاز واختار الجمل القصيرة ذات التوقيع الصوتي المؤثر لأن للأهل حقاً في أن يحظوا منه بما يشرح صدورهم ويؤنس أوقاتهم ويخلط نفوسهم

---

(١) رواه ابن السني رقم / ٥٣١ وهو حديث حسن كما قال الحافظ. انظر الفتوحات ٥ / ١٧٢ - ١٧٣. توباً توباً: سؤال للتوبة وهو منصوب على تقدير تب علينا توباً، أو على تقدير نسألك توباً توباً، وأوباً من آب إذا رجع، وحوباً معناه إثماً وهو بفتح الحاء وضمها لغتان - والله أعلم - انظر الأذكار للنووي / ٢٨٨.

بحب أخلص حبيب عرفه تاريخ الإنسانية في ماضيها السحيق وحاضرها المعاش.

وفي الحديث تمثيل السفر ومايكتنفه من تشعب الطريق وتغير الأحوال وخروج عن مألوف الإنسان من عادات الاستقرار بالخروج عن دواعي الفطرة من قيام بالطاعات وتناء عن المعاصي والحوبات فكما أنه لابد للمسافر من أوبة هو عليها حريص وتشبثه بها أكيد يحصي من أجل بلوغها الليالي والأيام فكذلك ينبغي أن يكون لمن خرج عن الطاعة وعصى توبة وعود إلى ربه فيه المتاع بمحو الحوبات والذنوب والآثام والفرح بالتوبة والرجوع إلى غافر الذنب وقابل التوب ذي الطول – عز اسمه وجل علاه.

وقد بنى – ﷺ – دعاءه على الثقة في الله وفي استجابة الدعاء فأكد التوبة تأكيداً لفظياً في توباً توباً – ومد – ﷺ – حبل الثقة ووسع مساحتها فوصف التوبة بأنها لاتترك وراءها ذنباً.

وفي السجع قصير الفقرات «**توباً توباً لربنا أوباً لايغادر حوباً**» مايجعل لذة الأسماع بالعود الحميد والتوب الجميل لذة مضاعفة تأنس بها الآذان كما يسعد بها الجنان والوجدان، والسجع كما سبق القول إذا جاء مع المعاني تابعاً لها ومؤكداً كان منقبة للأسلوب وبلاغة للكلام وبخاصة السجع قصير الفقرات.

وفي الدعاء تمثيل التوب بالساعي الحثيث النامي الذي يتجدد على الزمان ولاتزيده الأيام إلاَّ وكداً وقوة واتساعاً، يلقي لنا بهذا التمثيل الأسلوب الاستعاري في «**توباً لايغادر حوباً**».

وفي إيثار الفعل المنفي بلا (لايغادر حوباً) على المنفي بلم (لم يغادر حوباً) دلالة على أن أثر التوبة ممتد غير منقطع ولا منته بانتهاء

إحداث التوبة ومضي زمانها ومن المعلوم أن من شروط التوبة العزم على عدم الرجوع إلى الذنب مرة أخرى.

الحديث الثالث عشر

عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة - رضي الله عنهما - يا أم المؤمنين ما أكثر دعاء رسول الله - ﷺ - إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه «اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[1].

صلى الله على سيدنا محمد ورحم الله مصطفى صادق الرافعي فقد قال: «لانعرف في الناس من يتهيأ له الأسلوب الجامع المانع على توثيق السرد وكمال الملائمة كما نراه في الكلام النبوي»[2].

والدعاء الذي نحن بصدده خير دليل على صدق مقالة الرافعي حتى لكأني به وقد سجل عبارته تلك وهذا الدعاء النبوي ملء عقله وسمعه وبصره.

فقد اجتمع لهذا الدعاء: الأسلوب الجامع المانع، وتوثق السرد، وكمال الملاءمة، أما الأسلوب الجامع المانع فمن مظاهره في هذا الحديث إيجاز القصر الذي يعني اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل[3] ففي تقليب القلوب تفاصيل كثيرة، يقلب القلب من بغض إلى حب أو العكس ومن سخط إلى رضا أو العكس ومن شك إلى يقين أو العكس ومن جدل وشغب إلى راحة وطمأنينة أو العكس ومن ومن... الخ.

---

(١) الترمذي رقم/٣٥١٧ في الدعوات باب رقم/ ٩٥، واحمد في المسند ٦/ ٢٩٤ و٣٠٢ و٣١٥، وهو حديث صحيح لغيره، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ٣٤٩ .

(٣) معجم البلاغة العربية/ ٧٠٢.

هذه المعاني المتكاثرة المتنامية لن تخرج عن كونها تقلباً في القلب، ومن البدهي لدى كل مسلم أن القلوب بين أصبعي الرحمن يقلبها الله كيف يشاء فلا منجي من تقلبها إلاَّ الله – عز وجل .

وقد دعاه الرسول الكريم بصفة تناسب المدعو به فقال يامقلب القلوب .

وأما توثق السرد فالوجه فيه إيثار الرسول الكريم التعبير بجملتين متجانستين متقابلتين، الجملة الأولى يامقلب القلوب وفيها جناس الاشتقاق بين مقلب والقلوب[1]، والجملة الثانية ثبت قلبي على دينك وبينها وبين سابقتها مقابلة[2] .

فالثبات القلبي ضد تقلب القلوب واضطرابها وفي الجمع بينهما مع الإيجاز ما لايستطيعه من البشر إلاَّ من أوتي جوامع الكلم ﷺ .

وفي إيثار الرسول – ﷺ – كلمة (دينك) دون طاعتك – مثلاً – إفادة الشمول والعموم فلفظ الدين يشمل الطاعة والخضوع والقيام بالأوامر والنواهي والذل والإنكسار لله وإخلاص العمل وبياض العقيدة .

---

(١) جناس الاشتقاق هو توافق اللفظين في الحروف وترتيبها مع وجود جامع اشتقاقي بينهما وليس بخاف أن لفظ (مقلب) مادته الأصلية القاف واللام والباء وهي نفسها أصول لفظ قلب وقد قال بعضهم سمي القلب قلباً لتقلبه، وأنشد :

ماسمي القلب إلاَّ من تقلبه والرأي يصرف بالإنسان أطواراً

انظر اللسان ٢ / ١٧٩ ومابعدها.

(٢) المقابلة – عند البلاغيين – أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتي بما يقابل ذلك المذكور من المعنيين المتوافقين أو المعاني المتوافقة على الترتيب، وفي الحديث جاء لفظاً مقلب القلوب أولاً ثم ثبت قلبي ثانياً فالتثبيت ضد التقليب والقلوب جمع وقلبي مفرد.

الحديث الرابع عشر

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي»)(١).

بدأ الدعاء النبوي بسؤال الله العافية، ومن معاني العافية: دفاع الله عن العبد وحفظه إياه من العلل والبلاء، ومن معانيها أيضاً أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك.

وكل هذه المعاني يتحملها الحديث ولايضيق بها؛ ذلك أن الذي يستقبل يومه الجديد عاملاً نشطاً ضارباً في الأرض لايخلو حاله من مصادفة مايعوق حركته ويعطل عمله ويؤثر في نشاطه، والمأمول الله - عز وجل - لعبده المخلص يذلل له الصعاب ويسخر له الأسباب ويحميه مما خفي وظهر من الاعداء.

فالدعاء بدايته مناسبة كل المناسبة لاستقبال النهار الجاد النشط المبارك بإذن الله، كما أنها مناسبة لاستقبال المساء ومايكون فيه من ظلمات الليل وثقله وهمومه، ومايكون في النوم واستقباله من مراجعة للنفس واسترجاع لما كان من سيرة أحداث النهار.

---

(١) رواه أبوداود رقم (٥٠٧٤) في الأدب باب مايقول إذا أصبح، وأحمد في المسند ٢/٢٥، وابن ماجة رقم (٣٨٧١) في الدعاء، والحاكم في المستدرك ١/٥١٧، وصححه ووافقه الذهبي.
وابن حبان رقم (٢٣٥٦)، والنسائي ٨/٢٨٢ في الاستعاذة من الخسف وفي عمل اليوم والليلة رقم (٥٦٦)، وابن السني رقم (٤٠).

وفي الدعاء من البلاغة النبوية حسن الترتيب وحسن الانتقال من الأهم إلى المهم فبعد طلب دفاع الله عن عبده المؤمن، ومعافاته من الناس ومعافاة الناس منه يدعو - ﷺ - ربه طالباً العفو، وهو الصفح وترك العقوبة، كأنه يقر - عليه الصلاة والسلام - بأن الذي يعمل وينشط لا يخلو حاله من الوقوع في الزلل والخطأ حتى وإن بدأ عمله بسؤال الله النجاة، وأن الله متفضل على المخطئ بقبوله والعفو عنه ماكان داعياً مستغفراً.

ويؤيد حسن الترتيب أن سؤال العافية في البداية جعل النبي عليه الصلاة والسلام - ظرفه الزماني الدنيا والآخرة، وسؤال العفو والعافية جعل ظرفه الدين والدنيا والأهل والمال، وفي ذلك انتقال من الإجمال إلى التفصيل ومن الإبهام إلى التوضيح وهذا أدب نبوي ربى عليه الرسول - ﷺ - نفسه وأمته أن يتدرجوا في الدعاء من العام إلى الخاص ومن المجمل إلى المفصل.

وفي التفصيل يسأل النبي - عليه الصلاة والسلام - ربه ستر العورات وهو داخل في المعافاة من الناس وفي دفاع الله - عز وجل عن العبد نفسه وأهله وماله كما يسأله - تأمين الروعات وإذهاب الخوف وهو داخل في العفو والصفح وترك العقوبة حتى وإن كان العبد مستحقاً العقوبة.

ثم يبرأ النبي في نهاية الحديث من الحول والقوة إلى الله - عز وجل - فيسأله الحفظ الكامل الشامل «**اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي**».

نظام تعبيري فريد تميز به دعاء النبي - ﷺ - فمن سؤال يطلب فيه النبي دفاع الله عنه نهاره وليله، إلى سؤال الله الصفح وترك المعاقبة

على ماعساه أن يكون أثناء النشاط والحركة، إلى طلب حفظ عام شامل يحيط بالعبد ولايدع لأذى أو مؤذ ثغرة من جهة ما.

وفي الدعوات الأولى يؤثر - عليه الصلاة والسلام - الأسلوب الخبري «**إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي**» وفي الدعوات التالية يؤثر أسلوب الإنشاء، وكلا الأسلوبين مناسب للحال والمعنى، فالأول سؤال الحفظ في الحركة والمناسب له الأسلوب المتحرك النامي (الأسلوب الخبري) والثاني سؤال الحفظ القار الثابت والمناسب له الأسلوب الرزين الموحي بإلقاء العبء عن النفس واستيداع النفس والحياة لمن لاتضيع عنده الودائع (الأسلوب الإنشائي)، وهذا تنوع في الأسلوب، فكلاهما إنشاء إلاَّ أن الأول خبر لفظاً إنشاء معنى، والثاني إنشاء لفظاً ومعنى.

ومما ينبغي أن نخصه بالذكر أن الدعاء كما تنوع أسلوبه تنوعت فيه وسائل الدلالة بين التصريح والتكنية فالتعبير بقوله - ﷺ - «**احفظني من بين يدي**» كناية عن الأمام والتعبير بقوله - عليه الصلاة والسلام - «**ومن خلفي وعن يمني وعن شمالي**» جاء على سبيل التصريح، وفي قوله - ﷺ - «**وأعوذ بك أن أغتال من تحتي**» كناية عن الخسف وهي كناية بديعة صورت خسف الأرض بما عليها غولاً يبتلع مايبتلع في سرعة وقوة ويستلب النفس فجأة وبلامقدمات.

وفي تخصيص الحفظ من أسفل بهذه الكناية دلالة على خطر الخسف وشدته وأن الأذى إذا جاء من هذه الجهة - والعياذ بالله - كان المصاب أشد والداهية دهياء.

والتاريخ شاهد على ذلك فمن الذي خسف به؟ إنه قارون الطاغية

المتكبر المغرور بماله، وقوم لـوط الذين كانـوا يأتون الـذكر ان من العالمين.

وفي الحديث من بديع اللفظ مايكسبه قوة اللفظ إلى جانب قوة المعنى ففي «**استر عوراتي وآمن روعاتي**» جناس وطباق وسجع وازدواج وكلها من البديع الحسن؛ لأن المعاني قوية أكيدة استوفت حقها من البيان، فماكان البديع على حساب المعنى، وإنما جاء ردفاً للمعنى وتالياً وهذه منقبة تكلم فيها البلاغيون وأحسنوا القول وخير من وفّى القول فيها ابن الأثير في المثل السائر.

الحديث الخامس عشر

عن طلحة بن عبيد - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله»[1].

وقت كل إنسان هو وعاؤه الزمني الذي يؤثل فيه أعماله من بداية بلوغه مرحلة التكليف إلى أن تنتهي به الحياة.

والواقع الفعلي أن الزمن - زمن كل فرد - سلسلة متتابعة متصلة الحلقات و ماتقسيم الزمن إلى لحظات ودقائق وساعات وأيام وشهور وسنوات إلاَّ نقاط تنبيه وتذكير وإنذار، فيها يحاسب الإنسان نفسه مراجعاً مافات ليستدرك التقصير وينمي ويزكي الإيجابيات.

والمبدأ الإسلامي الذي يربي عليه الرسول الكريم - ﷺ - أمته هو الحرص على الزمن والاعتداد به وعدم إضاعته فلن تزول قدما امرئ حتى يسأل عن ثلاث أول الثلاثة عمره فيما أفناه.

ومن الحقائق الإيمانية الإسلامية أن العمل الصالح له سببان ينتجانه أحدهما: توفيق الله، والآخر: هو أخذ السبب المبلغ للغاية من عمل مدروس مخطط له منفذ في إتقان.

---

(١) الدارمي رقم/١٦٩٥ في الصيام: باب مايقال عند رؤية الهلال. والترمذي رقم/ ٣٤٤٧ في الدعوات: باب مايقال عند رؤية الهلال. وأحمد في المسند ١/١٤٢، وابن السني رقم/٦٤١، والحاكم ٤/٢٨٥ وهو حديث حسن لغيره، بل هو صحيح لكثرة شواهده كما قال الألباني في (الأحاديث الصحيحة) رقم/١٨١٦، وفي مسند الدارمي عن ابن عمر أنه كان يقول اللهم أهله علينا بالأمن بدلاً من اليمن، وزيادة «التوفيق لما تحب وترضى» واستبدال ياء المتكلم في (ربي وربك الله) بـ (نا) الدالة على المتكلمين انظر الأذكار للنووي/ ٢٤٤.

والحديث الابتهالي الذي بين أيدينا هو استدرار للبركة الربانية وسؤال للتوفيق في الانتفاع بالشهر الجديد، وإذا علمنا أن هذا الدعاء ليس خاصاً بهلال شهر بعينه، وإنما كل هلال يستقبله النبي بهذا الدعاء، تأكد لدينا أن هذا الدعاء دعاء مستمر متكرر الشهور مادامت حياة الإنسان.

وقد جاء هذا الدعاء مبتدأ بداية فيها براعة الاستهلال في قوله ﷺ: «**اللهم أهله**» حيث التعبير المتفائل، فالإهلال بداية سارة مفرحة فالمولود يهل لحظة يصرخ ساعة الميلاد مدخلاً بإهلاله الفرحة على ذويه، الفرحة بقدومه والفرحة بنجاة أمه.

والإهلال بالتكبير في العيدين إعلان للفرحة بقدومهما وبأن جعلهما الله – عز وجل – خاتمة لطاعات سبقتهما من صوم وأعمال حج.

وفي كذلك حسن الترتيب بتقديم اليُمن الذي هو البركة على السلامة، وتقديم الإيمان على الإسلام فالإيمان تصديق قلبي والإسلام إعلان قولي، والمنجي – يوم الزحام – هو التصديق القلبي الذي يصدر عنه التصريح القولي بكلمة التوحيد كما يصدر عنه الدليل العملي بأداء المفروضات.

والدعاء موجز إيجازاً لا يتأتى إلاّ لمن أوتي جوامع الكلم[1] – عليه الصلاة والسلام – ومع بلاغة إيجازه، وبساطة ووضوح فكرته تجد فيه الشمول والعموم فماذا بقي من خير بعد أن أعطي العبد البركة والإيمان والسلامة والإسلام؟ إن البركة كثرة وبقاء فيما يعلم وما لا

(١) جوامع الكلم: (هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة ونزه عن التكلف) هكذا قال الجاحظ. وإن أردت مزيداً فراجع إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي/ ٢٨٢.

يعلم من عناصر الرزق، والإيمان صدق وطمأنينة وراحة بال والسلامة مزايلة الشر بكل صنوفه، والإسلام عز وإباء يزول معه الخوف من كل مايخاف.

وعبارة الحديث جاءت فيها الألفاظ مترابطة بجناس اليمن والإيمان والسلامة والإسلام.

وفي هذا الحديث الموجز ذي الكلمات المعدودات تحويل لمجرى التحدث بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب تطرية للحديث وتنبيهاً للسامع فالهلال في بداية الحديث ساعة التوجه إلى الله – معبر عنه بضمير الغائب في (أهله) لأن المخاطب الله – عز وجل – وإذا خوطب العظيم ستر خطابه كل ماعداه وأخفاه.

ثم لما أتم الرسول الكريم توجهه إلى ربه عاد إلى الهلال فخاطبه خطاب المشاهد المبصر «**ربي وربك الله**».

وفي إيثار كلمة الرب إشارة إلى الزيادة والنمو والاستمرار فكلمة الرب مأخوذة من التربية التي هي التعهد بالرعاية والحفظ حتى يصل الشئ إلى التمام والكمال وفي إضافة رب إلى ضمير المتكلم (ربي) والمخاطب (وربك) إيحاء بالقرب والحب والتشرف وإفصاح عن عاطفة الحب الفياض حب النبي ربه الذي علمه واصطفاه.

الحديث السادس عشر

عن حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات»[1].

هذا الحديث من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - حيث الايجاز الذي نلمحه - جملة - في قصر عبارة الحديث.

والذي يمكن أن نلمحه تفصيلا فيما يلي:

أولا : التعبير بكلمة عذابك: إن لمحت عذاب قبل الاضافة وجدت التعظيم والتهويل والتنويع والتكثير، وإن لمحتها بعد الاضافة إلى ضميره - عز وجل - وجدت التعظيم والتهويل والتنويع والتكثير مضاعفا أكثر ما تكون المضاعفة.

ثانياً : الإضافة إلى الضمير جعلت نوع العذاب ودرجته مما لايمكن حده، وعليه فليس توقي هذا العذاب ممكنا إلا إذا جعل الله - عز وجل - بين عبده وبين هذا العذاب وقاية وصونا وحفظا.

ثالثاً : وفي الإضافة أيضا إفادة الاستغراق والعموم، ومما ذكره أهل العلم أن إفادة الإضافة الاستغراق أبلغ واشمل من إفادة الألف واللام إياه[2].

---

(١) ابو داود رقم/ ٥٠٤٥ في الأدب : باب مايقال عند النوم، واحمد في المسند ٦/ ٢٨٧ - ٢٨٨ والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/ ٧٦١-٧٦٢ وابن السني رقم/ ٧٣٢ من حديث حفصة - رضي الله عنها - والترمذي رقم/ ٣٣٩٥ في الدعوات وابن حبان رقم/ ١٤٧٩ وهو حديث صحيح.

(٢) راجع شروح التلخيص ١/ ٣٤٧.

ثم انظر الى تخصيص اليوم بالصفة «**يوم تبعث عبادك**» إن إيثار هذه الصفة من صفات يوم القيامة – وما أكثر صفات يوم القيامة – متناسب مع طلب الوقاية التي هي – في هذا المقام – نجاة لم ينغصها هلك قبلها ولو يسير.

وفي إيثار كلمة «عبادك» في قوله – صلى الله عليه وسلم – «**يوم تبعث عبادك**» تحنن وضارع استعطاف؛ هذا الاستعطاف له أصل في كتاب الله عز وجل وإن كان في غير ما نحن فيه اقرأ قوله تعالى: ﴿**لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ**﴾ [البقرة: ٢٣٣] تجد أنه لما نُهيَ كل من الرجل والمرأة عن المضارة أضيف الولد إلى ضميريهما استعطافا لهما عليه، فهو ولد ها لايُقسى قلبها عليه إضرار الرجل بها، وهو – كذلك – ولد الرجل لايمنعه حقه مجاوزة المرأة الحد في طلب الأجرة على إرضاعه.

واقرأ – أيضا – قوله تعالى ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٨] تجد صدر الآية فيه من الشدة ما فيه فإذا ما انتقل التالي للآية من «هو» و «القاهر» و«فوق» ووصل الى «عباده» ألفيت الطمأنينة والراحة الى أنه كان هو القاهر الذي لايعجزه شيء والمستعلي فوق كل شيء فليس فوقه شيء فإن المقهورين له هم عباده فهو أرحم بهم وهو وحده المأمول يبدلهم بالقهر طمأنينة ورحمة.

والدعاء النبوي توازنت عبارته على الرغم من قصرها وجاء السجع فيها محققا غاية تجعل ترداد الدعاء وتكراره له نغم يوقع في النفس السكون والصفاء، كما يجعل النطق به مرطبا للسان مشنفا للآذان.

والسجع عند أهل الفن إذا جاء تابعا للمعنى كان منقبة بلاغية لايتوفر عليها إلا من كان ذا حس بلاغي مرهف – وملكة بيانية مطبوعة.

وما أحد – في ذلك – ببالغ شأو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحديث السابع عشر

عن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أحيا وأموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[١].

من الملاحظ أن الحديث جعل الدعاء ابتهالا إلى الذي أحيا وأمات وإليه النشور، فذكر من صفات الله تعالى الإحياء والإماتة دون غيرهما من بقية صفاته عز وجل وفي ذكر هاتين الصفتين مناسبة تكشف عن بلاغة نبوية ملهمة؛ فذكر هاتين الصفتين يشعر بأن من شأن المسلم الحق ألا يركن إلى الحياة ويثق في بقائها وامتدادها، وإنما عليه أن يعد صباح كل يوم ونوره وحركته حياة جديدة له، وأن يعد مساء كل يوم وظلامه وسكونه موتة مرتقبة ليس ببعيد أن يتجرع كأسها.

وفي ذلك تربية للمسلم على سلوك قويم فيه التزام عدم التأخير في عمل الخير اعتمادا على ما هو آت، كما أن فيه الابتعاد عن ارتكاب أي إثم بليل أو نهار اتكالا على توبة يحدثها فيما يستقبل من ساجي الليل وصاخب النهار، فكأن كل نومة في ليل موتة، وكأن كل يقظة في صبح حياة جديدة.

---

(١) البخاري رقم/٦٣١٢ في الدعوات باب مايقول إذا نام، ورقم/٦٣١٤ باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن، ورقم/٦٣٢٤ باب مايقول إذا أصبح، ورقم/٧٣٩٤ في التوحيد باب السؤال بأسماء الله - تعالى -، والترمذي رقم/٣٤١٣ في الدعوات، وأبوداود رقم/٥٠٤٩ في الأدب، وأحمد في المسند ٥/٣٨٥ و٣٨٧، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٧، والدارمي رقم/ ٢٦٨٩ في الاستئذان، وابن ماجة رقم/٣٨٨٠ في الدعاء، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/٧٤٧-٧٤٩.

ومن المزايا البلاغية في الدعاء النبوي ما يفيده التقديم الذي جاء في المواضع التالية: تقديم الجار والمجرور «باسم» على متعلقه «أحيا وأموت» وتقديم الفعل «أحيا» على «أموت»، وتقديم الخبر على المبتدأ في «وإليه النشور».

فالتقديم في «باسمك اللهم» للتبرك وهكذا كل أمر عظيم قدم فيه اسم الله تعالى يكون الغرض من التقديم فيه التبرك[1]، وفيه كذلك إفادة الاختصاص فالحياة والموت والفعل والقول وكل ما يصدر عن المسلم هو لله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾**﴾ [الأنعام] وإفادة تقديم متعلقات الفعل للاختصاص كاد أهل البيان يطبقون عليه[2].

وأما تقديم «أحيا» على «أموت» في قوله صلى الله عليه وسلم: «**باسمك اللهم أحيا وأموت**» فلإشاعة روح البشر في الدعاء فالحياة نعمة قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الملك: ٢٨] فجعل الرحمة مقابلة للإهلاك وفي هذا دليل على أن الحياة نعمة ورحمة[3].

ومن عجيب بلاغة هذا الحديث ذكر الحياة مع أن هذا الدعاء يكون حين أوى الإنسان إلى الفراش للنوم، والنوم أحد معاني الموت

---

(١) راجع معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١ / ١٧٤.

(٢) المعترك ١ / ١٨٩.

(٣) روى الحديث بتقديم أموت على أحيا، وعلى هذه الرواية يكون التقديم فيه مراعاة للسبق في الوجود فالإنسان قبل أن يولد ميت قال تعالى ﴿**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾ غافر١١، وفيه أيضاً مناسبة بين ما العبد قادم عليه من نوم هو موتة صغرى وبين الموت تنقطع فيه أسباب الحياة.

فما علة ذكر الحياة في موقف هو إلى الموت أقرب؟ العلة ـ فيما أرى ـ هي إظهار قدرة الله ـ عز وجل ـ في أجلى معانيها فهو القادر على الشيء وضده هو المحيي المميت سبحانه، وفي ذكرها كذلك بث روح التفاؤل في الدعاء، ولإظهار كمال الخضوع، والتذلل إليه ـ عز وجل ـ وإظهار التذلل والخضوع أحد شروط الدعاء.

وأما تقديم الخبر على المبتدأ في قوله عليه السلام: «**وإليه النشور**» فالغرض منه تعظيم أمر البعث والاهتمام به وتأكيد وقوعه.

ومن الملاحظ البلاغية في الحديث ـ كذلك ـ الإتيان بضمير المتكلم للفرد في «**باسمك اللهم أحيا وأموت**» والإتيان به للجمع «**أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» ذلك أنه ساعة أن يدعو الإنسان ربه وهو على سريره يستقبل النوم يكون وحده بتفكيره وشعوره ونظره وسمعه فالحالة مراعى فيها الخصوصية والوحدة، أما حين يصحو من نومه فالحياة معه يقظة متحركة متنفسة فليس هو الذي صحا وحده وإنما هو أحد الأحياء فالحالة هنا عامة، غير مخصوصة بصاحب الدعاء وحده.

الحديث الثامن عشر

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم أمتعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني، وانصرني على عدوي، وأرني منه ثأري، اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، ومن الجوع فإنه بئس الضجيع»[١].

سأل النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يمتعه بسمعه وبصره وخص هاتين الحاستين بالذكر لأن أثرهما لايكاد يفارق الإنسان يقظته فإذا اسلم الإنسان جسده للنوم فارقاه[٢].

وهناك من العلماء من يجعل المراد بالسمع وعي ما يسمع والعمل به، وبالبصر الاعتبار بما يرى[٣] ويكون هذا جاريا على طريق المجاز ومزيته أن وعي المسموع والعمل به وكذلك الاعتبار بالمرئي ليس بعض نتاج السمع والبصر وإنما هو السمع والبصر أنفسهما فإذا وجد كانت الحاستان موجودتين وإذا فقد كانت الحاستان معدومتين بناء على أن الشيء إنما يكون بآثاره الحسنة لا بجرمه وهيكله، ويؤيد هذا

---

(١) رواه ابن السني رقم/ ٧٣٤ في إسناده هشام بن زياد ابوالمقدام وهو متروك، قال الحافظ وقع لنا هذا المقدار من الحديث عن جماعة من الصحابة غير مقيد بالنوم ٣/١٦٦،ورواه الترمذي رقم/٣٤٧٦ في الدعوات باب رقم/٦٧ من حديث حبيب بن ابي ثابت عن عروة عن عائشة، وقال الترمذي سمعت محمداً يعني البخاري يقول حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة بن الزبير شيئاً، وقال الحافظ في التهذيب ٢/١٧٩ بعد نقل كلام الترمذي هذا: وقال ابن ابي حاتم في كتاب المراسيل عن أبيه: أهل الحديث اتفقوا على ذلك، يعني عدم سماعه منه، واتفاقهم على شئ يكون حجة، قال العلماء: وللحديث شواهد ترقى به إلى درجة الحسن – والله أعلم –

(٢) هذا الفراق متفاوت الدرجة ففراق البصر أتم من فراق السمع.

(٣) انظر كتاب الأذكار للإمام النووي ص/١٢٩.

دعاء آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه: «**اللهم اجعل نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرا**»[1].

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «**واجعلهما الوارث مني**» بقاؤهما صحيحين سليمين الى أن أموت، وفي تعبيره صلى الله عليه وسلم خيال حسن حيث جعل السمع والبصر وارثين وأغفل ذكر الموروث، فما الذي يرثاه؟ قال العلماء الموروث باقي الأعضاء أي اجعلهما وارثي قوة باقي الأعضاء واجعلهما الباقيين قويين بعد ضعف غيرهما من الحواس والأعضاء عند الكبر.

وروي واجعله الوارث مني برد الضمير إلى الامتاع وحده، والمعنى أبقني متمتعا بسمعي وبصري الى أن تفارق الروح جسدي، والأمر في هذا التعبير كله مبني على المجاز الاستعاري.

وليس ببعيد وهذا الدعاء من أذكار الأوي إلى فراش النوم أن يكون الإمتاع بالسمع والبصر أثناء النوم بصرف الله عنه حلم الشيطان وامتاعه بالرؤى التي هي من عطاء الرحمن، ويقرب هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم عقيب ذلك: «**وانصرني على عدوي**» والشيطان عدو قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ [فاطر: ٦] ولايعترض على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: «**وأرني منه ثأري**» فإن الشيطان إذا رأى طاعة ابن آدم حزن واهتم – هكذا حدثتنا سنة النبي المصطفى، ﷺ.

(١) ولهذا الاستنتاج شواهد كثيرة في القرآن الكريم منها ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم**﴾ [البقرة:٧] وليس ثمة ختم على الحقيقة وإنما لأن القلوب والأسماع والأبصار لايُستنفع بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها ولاتستجلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة وصارت كالتي غطى عليها وحيل بينها وبين الإدراك، انظر الكشاف ١ /١٥٦.

ويزيد غيظ الشيطان ويتكاثر همه وحزنه عند سجود التلاوة، وفي يوم عرفة – كما ورد بذلك الحديث، وكون الشيطان على هذه الحالة هو الثأر – والله أعلم.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم إني اعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع**» تفظيع للجوع وتقبيح لصورته.

وقد قام التعبير النبوي بتصوير ملازمته المؤرقة، بالضجيع المؤذي المذموم وجوده وهيئته وفي ذلك تربية للأمة على محاربة أسباب الجوع والفقر بالعمل الدءوب الدائم بعد حسن التوكل على الله.

وبعد ففي الحديث الشريف من النكات البلاغية الكثير نخص منها الآتي:

البلاغة الاسلوبية الراقية المتمثلة في تنويع الكلام بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية ووضع كل منهما في مكانه الذي هو به أخص وله أقر ففي سؤال الامتاع بالسمع والبصر والنصر على العدو جاءت الجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث، وما كان غيرها ليقوم مقامها في الوفاء بحق الاسلوب ذلك ان التمتع بالبصر والسمع ليس شيئا ثابتا لايتغير ولايحول وإنما هو متجدد متكرر متنوع بحسب تنوع المسموع والمبصر.

وفي الاستعاذة بالله – عز وجل – من الجوع وغلبة الدين جاءت الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام؛ لأن هم الدين والجوع إذا وجدا وجد قابعا على النفس جاثما على الصدر غير مفارق في ليل ولا في نهار.

ومما حفل به الحديث الشريف المجاز المرسل في قوله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم امتعني بسمعي وبصري**»[1] حيث استعمل

---

(١) هذا على راي من قال بأن المراد بالسمع والبصر وعي مايسمع ويبصر والاعتبار به.

السمع في وعي المسموع والعمل به، والبصر في الاعتبار بما يرى وهذا استعمال للفظ في غير ما وضع له لعلاقة الآلية - والمزية في هذا المجاز سبق بيانها.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**واجعلها الوارث مني**» مجاز استعاري جعلت فيه الأعضاء أناسي بعضها يرث بعضا بجامع غياب شيء يخلفه شيء آخر له به لحمة ووصلة، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**ومن الجوع فإنه بئس الضجيع**» تشبيه شبه فيه الجوع بالضجيع السيء الملازم تشبيها محذوف الوجه والأداة مبالغة في ذم الجوع وقبيح ملازمته.

الحديث التاسع عشر

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه «اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن، اعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين واغننا من الفقر» وفي رواية ابي داود «اقض عني الدين واغنني من الفقر»[١].

بدأ الحديث الشريف بتمجيد الله والثناء عليه بما هو أهله وأطنب في ذلك وفي هذا الإطناب حسن تأت لنيل المطلوب فإنه العبد إذا طلب من سيده شيئا قدم بين يدي طلبه من ألوان التذلل وإظهار الخضوع ما يؤهل لنيل مايرجو ويطلب ويؤمل.

وفي صفات الله التي ذكرها صلى الله عليه وسلم مناسبة للمطلوب؛ يتضح ذلك من ان المطلوب هو أن يجعل الله بينه وبين شر كل ذي شر وقاية والمناسب لذلك ذكر الله بصفات الجلال التي مجد فيها النبي الكريم ربه بربوبيته للسموات والأرض والعرش العظيم ولكل شيء، والتي ذكر فيها قدرة الله التي تشق الحب ليخرج منه الزرع

(١) مسلم رقم/٢٧١٣ في الذكر باب مايقول عند النوم واخذ المضجع، وابوداود رقم/٥٠٥١ في الأدب: باب مايقول عند النوم، والترمذي رقم/٣٣٩٧ في الدعوات: باب من الأدعية عند النوم، وابن ماجة رقم/٣٨٧٣ في الدعاء باب مايدعو به إذا أوى إلى فراشه، وأحمد في المسند ٢/٣٨١ و٤٠٤ و٥٣٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/٧٩٠، وابن السني رقم/٧١٥.

وتشق النواة الصلبة لتخرج منها النخلة الباسقة.

ثم ذكر في تمجيده لله - عز وجل - أنه كما يحيي الأرض بالنبات يحيي أهلها بما نزل من الكتب. ومن كانت هذه صفاته لايعجزه شرير مهما بلغ شره وتنوعت أذاته لأنه لايستطيع الخروج من اقطار الكون المقهور لله والمقدور عليه تمام القدرة من منزل التوراة والانجيل والقرآن.

وفي ايثار ذكر الربوبية مناسبة لما يطلب صلى الله عليه وسلم من ربه الذي يتعهد احباءه بالحفظ ودفع الأذى عنهم.

ثم نلاحظ إيثار ذكر العام في المستعاذ منه «**اعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته**». وهذا التعميم مفيد للثقة في الله ومناسبة الحال التي يكون عليها النائم من فقد اسباب الدفاع سواء أكان المهاجم قويا أم ضعيفا، كبيرا أم صغيرا، حسيا أم معنويا، فلا نجاة لنائم من مهاجم - مهما حقر - إلا في الركون الى ذي القوة الذي بيده ملكوت كل شيء.

وفي التعبير الكنائي «**أنت آخذ بناصيته**» تأكيد وبرهان أما التأكيد فيظهر من كون الأخذ بالناصية مظهرا حسيا لصفات الجلال السابقة «**رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم**» وأما البرهان فإن في هذا القيد «**أنت آخذ بناصيته**» دليلا على كمال قدرة الله - عز وجل - وطلاقتها إذ يلحظ من وراء هذه العبارة أن الشرير الذي من شأنه الايذاء بشره موصوف بصفتين متضادتين صفة قدرته على الأذى وصفة عجزه عن إلحاق هذا الأذى لأنه مقهور مغلوب على أمره من القاهر - عز وجل - فمن لجأ الى الله فقد منع من ايذائه أيا كان وكيف كان شره.

ومن الملاحظ البلاغية في الحديث الشريف أنه جعل الاستعاذة من شر كل ذي شر متوسطة بين الصفات التنزيهية المذكورة لله – عز وجل – وفي هذا اشعار بسوء وخطورة المستعاذ منه أولا وتهوينه والحط من شأنه – ثانيا –.

نعم هو خطير على من ترك الاستعاذة منه، وهو هين لا أثر له على من استعاذ منه بما استعاذ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو للمستعيذ بين ركنين حصينين هما صفات الجلال السابقة عليه وصفات الجلال اللاحقة له فأنى له الخروج من بين هذين السدين؟ وفي ذلك حبك للطرفين وتطمين للمستعيذ وتأكيد للنجاة.

واما ختم الدعاء بأن يقضي الله الدين وينجي من الفقر فهو من ذكر الخاص بعد العام لمزيد الاهتمام بالخاص، فإن الدين والفقر داخلان تحت «كل ذي شر» وإنما خصهما بالذكر لخطورتهما، ولأنهما ينزعان البركة من النوم أو هما يمحوانه فالدين هم بالليل وذل بالنهار والفقر – اعاذنا الله منه – هم بالليل وهم بالنهار.

ومن البلاغة النبوية في الحديث الشريف الطباق الذي اعتمد التضاد مرة والتنظير مرة أخرى ففي «رب السموات ورب الأرض» طباق بين السموات والأرض يؤكد شمول الربوبية واحاطتها، وفي فالق الحب والنوى طباق تنظير حيث جعل الحب في مقابلة النوى وكلاهما صلب إلا أن درجة الصلابة متفاوتة بينهما فمثلهما مثل مقابلة النوم بالسنة في قوله تعالى: ﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء**» مقابلات ظاهرة مزيتها البلاغية تأكيد وجود الله – عز

وجل – وتأكيد طلاقة قدرته.

وبهذا يمكن ان نقول إن الحديث اشتمل على المزايا البلاغية الآتية:

١- الإطناب وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ومن أنواعه ذكر العام بعد الخاص لإفادة العموم في «**ربنا ورب كل شيء**» وذكر الخاص بعد العام للإشعار بأهمية الخاص في «**اقض عنا الدين واغننا من الفقر**» بعد «**اعوذ بك من شر كل ذي شر**».

٢- مناسبة اللفظ للمعنى والغرض في ذكر صفات الله التي تناسب المستعاذ منه كما سبق توضيح وتفصيل ذلك.

٣- الكناية عن صفة القدرة في قوله صلى الله عليه وسلم: «**انت آخذ بناصيته**».

٤- حبك الطرفين في ذكر المستعاذ منه بين الصفات التي ذكرت تنزيها لله وتعظيما له.

٥- الطباق طباق التضاد وطباق التنظير وقد سبق بيان ذلك.

الحديث العشرون

عن أنس - رضي الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لاكافي له ولامؤوي»(١).

في الحديث مناسبة اللفظ للمعنى حيث أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالكلمات التي تعلن البراءة من الحول والقوة وترجع بالخير كله الى الرب المنعم الوهاب فهو الذي أطعم وهو الذي سقى وفي استعمال سقى دون اسقى تأكيد للبراءة من الحول والطول المشار اليهما؛ فإن الشراب الذي لايكون معه جهد من العبد يستعمل معه الفعل «سقى» قال تعالى في شراب أهل الجنة ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾ [الإنسان: ٢١] وقال في شراب الدنيا ﴿**وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا**﴾ [المرسلات: ٢٧].

ومعلوم أن شراب الجنة يكون بلا مكابدة، فالجنة لانصب فيها ولاكد، واما شراب الدنيا فلا يكاد يخلو من جهد وتعب في الحصول عليه.

والحديث الذي معنا يبين ما كان يقول النبي حين الأوي الى فراش النوم في ختام اليوم، والمناسب في هذه الحالة وهذا المقام ان يبوء

---

(١) مسلم رقم/٢٧١٥ في الذكر والدعاء: باب مايقول عند النوم واخذ المضجع، والترمذي رقم/٣٣٩٣ في الدعوات: باب ماجاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، وابو داود رقم/٥٠٥٣ في الأدب باب مايقال عند النوم، وأحمد في المسند ٣/١٥٣، ١٦٧، ٢٥٣، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/٧٩٩، وابن السني رقم/٧١١، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

العبد الخالص بالنعمة كلها الى المنعم - عز وجل - وينسى ما كان له من سعي وسبب في الحصول على طعامه وشرابه وكفايته وايوائه.

وليس هناك ما يمنع أن يكون التعبير بأطعم وسقى وكفى وآوى كناية عن الرضى بعطاء الله وفضله بدليل قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: «**فكم ممن لاكافي له ولامؤوي**» باستعمال كم الخبرية المفيدة للتكثير، ومعلوم أنه لامخلوق إلا وهو واجد ما يسد الرمق ويذهب الظمأ ويؤوي من الحر والقر ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [**هود**: ٦] فكيف يكون هناك من لاكافي له ولا مؤوي إلا إذا كان هذا المتحدث عنه غير راض بما وصل اليه من فضل الله، وعلى هذا فمدار المعنى في هذا الدعاء المختتم به عمل اليوم على الرضا، فأهل التقوى راضون ودليل رضاهم حمد الله على إطعامه وسقياه وكفايته وايوائه، واهل الطمع وتشتت البال غير راضين لأنهم لايبوءون بما حققوا في يومهم الى الكافي المؤوي الحقيقي وإنما يرجعون الى ما اعتمدوا عليه من اسباب واعمال وأناس يظنونهم بالغين بهم الكفاية والايواء وما هم ببالغين فكأنهم لتهافت ما اعتمدوا عليه في الكفاية والايواء ولعدم جدواه في تحقيق الكفاية التي يرجونها لايجدون لهم كافيا ولامؤويا، ومثل هؤلاء في دنيا الناس كثير، وقد حفل زماننا بأمثال هؤلاء الذين يضربون في الأرض على غير هدى يبغون عرض الحياة الدنيا ومع تحقيقهم الكثير من هذا العرض تراهم يعانون القلق والهم وما ذلك إلا لأنهم جعلوا الدنيا همهم فجعل الله فقرهم بين أعينهم، وألزمهم شقاء البال والهم بالليل والنهار فصار حالهم حال من لاكافي له ولا مؤوي.

وعلى هذا ففي الحديث من النكات البلاغية مناسبة اللفظ

للمعنى، وفيه كذلك الكناية عن صفة الرضا في «**اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا**» وفيه كذلك الكناية عن الكثرة في «**كم ممن لاكافي له ولامؤوي**» وفيه كذلك السجع قصير الفقرات في «**اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا**» وفيه ايجاز القصر الذي يضع هذا الحديث بين جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم.

الحديث الحادي والعشرون

عن عائشة – رضي الله عنها – ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبي واسألك رحمتك، اللهم زدني علما، ولاتزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب»[1].

في الحديث الشريف تلطف وحسن تأت للمطلوب ورعاية لمقتضى الحال لامقتضى حال المخاطب فحسب كما هو المشهور عند اطلاق مصطلح رعاية مقتضى الحال عند البلاغيين وإنما مراعاة حال المتكلم والزمن والحاجة فالمتكلم صحا من نوم وما النوم واليقظة بالأمر الهين حتى وإن خلناه هينا، والزمن وقت السحر حيث هدوء الكون وسجوه، والحاجة ليست الشيء اليسير الهين وإنما هي الرحمة وتمام الهدى وثباته.

كل هذا راعاه صلى الله عليه وسلم فقدم بين يدي مسألته توحيد الله والثناء عليه بما هو اهله وتنزيهه – عز وجل –، وكان صلى الله عليه وسلم – في ذلك أيضا – ذا ترتيب نظيم وعبارة محكمة فبدأ أولا بتوحيد الله واخلاص الدين له وحده – عز وجل – وثنى بتنزيه الله – عز وجل – وتعظيمه، وثلث بالاستغفار مقدما الاستغفار على سؤال الرحمة، لأنه كما يقول العلماء – كالتخلية قبل التحلية،

---

(١) أبوداود / ٥٠٦١ في الأدب باب مايقول الرجل إذا تعار من الليل، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/ ٨٦٥، وابن السني رقم/٧٥٦، وفي إسناده عبدالله بن الوليد التجيبي البصري وهو لين الحديث كما قال الحافظ في التقريب وباقي رجاله ثقات، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقهما الذهبي.

ثم عقيب ذلك صرح بمطلوبه وسؤاله، وفي هذا المطلوب ايضا كان صلى الله عليه وسلم مقدما للأولى ثم الذي يليه؛ فسأل الله - أولا - زيادة العلم، والعلم في الإسلام هو أول المطالب والرغائب فأول مانزل من القرآن اقرأ، والعقيدة في الإسلام تبنى أول ما تبنى على العلم قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩] .

ثم ذكر صلى الله عليه وسلم مطلوبه الثاني وهو سؤال الله ألاَّ يميل قلبه أو يباعده عن الحق بعد أن هداه اليه .

واخيرا طلب رحمة الله - عز وجل -، وما حصول الرحمة بعد الفوز بمنحة العلم والثبات على الحق ببعيد قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦] .

وكان التعبير النبوي متوازن العبارة سهل الألفاظ عميق المعنى ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «**زدني علما**» مجاز عقلي فأصل النسبة «**اللهم زد في علمي**»، ولكن التعبير النبوي جعل الزيادة عامة ليست مقصورة على زيادة العلم وحسب، وإنما هي زيادة مباركة تشمل كيانه صلى الله عليه وسلم، ثم يخص بها العلم بعد ذلك؛ وخير الله عميم ما ينبغي للانسان ان يتحجره حتى وإن كان يطلب شيئا بعينه وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**ولاتزغ قلبي بعد إذ هديتني**» صورة بلاغية تؤكد المعنى وتخرجه في صورة محسوسة مشاهدة حيث جعل الهدى نقطة ارتكاز يتمكن منها الفرد كما يمكن أن يميل عنها يمنة أو يسرة، والخير والرحمة والسلامة في التمكن منها الذي يوفق اليه من بيده مفاتيح القلوب؛ ولذلك عقب الرسول صلى

الله عليه وسلم هذا المطلب بطلب رحمة لدنية لاسبب لها الا محض فضل الله – عز وجل – ومن أجل هذا كان التذييل بقوله صلى الله عليه وسلم: «**إنك أنت الوهاب**» مقتبسا ذلك من كتاب الله – عز وجل –: ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٨] وعلى ذلك ففي الحديث من النكات البلاغية مناسبة اللفظ للمعنى والغرض، وفيه مراعاة النظير، وفيه الاستعارة المكنى عنها في «**لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**» وفيه الاقتباس من القرآن الكريم، وفيه مجاز النسبة في قوله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم زدني علما**».

ثم عقيب ذلك صرح بمطلوبه وسؤاله، وفي هذا المطلوب ايضا كان صلى الله عليه وسلم مقدما للأولى ثم الذي يليه؛ فسأل الله – أولا – زيادة العلم، والعلم في الإسلام هو أول المطالب والرغائب فأول مانزل من القرآن اقرأ، والعقيدة في الإسلام تبنى أول ما تبنى على العلم قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩] .

ثم ذكر صلى الله عليه وسلم مطلوبه الثاني وهو سؤال الله ألاَّ يميل قلبه أو يباعده عن الحق بعد أن هداه اليه .

واخيرا طلب رحمة الله – عز وجل –، وما حصول الرحمة بعد الفوز بمنحة العلم والثبات على الحق ببعيد قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦] .

وكان التعبير النبوي متوازن العبارة سهل الألفاظ عميق المعنى ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «**زدني علما**» مجاز عقلي فأصل النسبة «**اللهم زد في علمي**»، ولكن التعبير النبوي جعل الزيادة عامة ليست مقصورة على زيادة العلم وحسب، وإنما هي زيادة مباركة تشمل كيانه صلى الله عليه وسلم، ثم يخص بها العلم بعد ذلك؛ وخير الله عميم ما ينبغي للانسان ان يتحجره حتى وإن كان يطلب شيئا بعينه وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**ولاتزغ قلبي بعد إذ هديتني**» صورة بلاغية تؤكد المعنى وتخرجه في صورة محسوسة مشاهدة حيث جعل الهدى نقطة ارتكاز يتمكن منها الفرد كما يمكن أن يميل عنها يمنة أو يسرة، والخير والرحمة والسلامة في التمكن منها الذي يوفق اليه من بيده مفاتيح القلوب؛ ولذلك عقب الرسول صلى

الحديث الثاني والعشرون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام في الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد انت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت - زاد بعض الرواة - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

هذا الحديث مناجاة خلا فيها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم الى الحبيب الاعظم فَعَذُبَ الحديث وطال؛ فهذا موقف يقتضي الإطناب والإطالة، وآية الإطناب تكرار جملة «لك الحمد» قبل الإقرار والتسليم لله - عز وجل - بسيادته وتوليه - سبحانه - أمر الكون.

---

(١) البخاري رقم/ ١١٢٠ في قيام الليل باب التهجد ورقم/ ٦٣١٧ في الدعوات: باب إذا انتبه من الليل ورقم/ ٧٣٨٥ في التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿**وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق**﴾ ورقم/ ٧٤٤٢ باب قول الله تعالى ﴿**وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة**﴾ ورقم/ ٧٤٩٩ باب قوله تعالى ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ ومسلم رقم/ ٧٦٩ في صلاة المسافرين: باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، وابوداود رقم/ ٧٧١ في الصلاة: باب مايستفتح به الصلاة من الدعاء، والترمذي رقم/ ٣٤١٨ في الدعوات: باب ماجاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، والنسائي ٣/ ٢٠٩، ٢١٠ في قيام الليل وفي عمل اليوم والليلة رقم/ ٨٦٨، وابن السني رقم/ ٧٦٠، وابن ماجة ١٣٥٥، واحمد في المسند ١/ ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣٥٨.

وحمد الله بين يدي الإقرار له بالملكية الحقة والقدرة الغالبة فيه إشعار بأن توحده - عز وجل - بسياسة أمر الكون وتصريفه نعمة كبرى يناسبها الحمد المؤكد من رسول الله لربه، وحقا هي نعمة فلو توزع الحمد لكان في ذلك تشتيت الوجهة وتفريق القصد ولكن لم شمل النفس لايكون إلا بالتوجه الحق الى الرب الواحد الذي له الحمد كل الحمد.

ومن آيات الإطناب كذلك في الحديث تكرار كلمة الحق لتأكيد الإذعان والامتثال والتصديق بالأمور السمعية التي وجب الإيمان بها ولا دليل على الايمان بها إلا ما ورد عن الله - عز وجل - في كتابه الكريم وفي سنة نبيه المصطفى فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد بتكرار كلمة الحق إظهار أن ما دل عليه كتاب الله واثبته الصق بالنفس وآكد في التصديق من الذي يمكن أن يثبته العقل والتفكير.

وقد جعل الرسول عليه الصلاة والسلام الإقرار بما سبق طريقا مهيئا للإقرار بالإسلام والإيمان والتوكل الخالص على الله - عز وجل - الذي يجعل العبد في كل أمر من أمور حياته وفي كل دقائق أحواله غايته الله - عز وجل - ووسيلته حسن التوكل عليه سبحانه.

والحديث متوازن العبارة، مسلسل الفكرة، متتابع المعاني، محبوك الدلالة، يربطه ما يربط النتائج بالأسباب فعلى الرغم من تفويض الأمر كله لله نجد التعبير النبوي بنى كل لاحق على سابقه، فالمحمود بحق هو الله لأنه سيد السماوات والأرض ومن فيهن ومالكهما ونورهما؛ والله حق، لذلك فكل ما اخبر به حق من وعد ولقاء وقول، ومن جنة ونار وساعة وإرسال رسل .. الخ. وإذا كان الله هو القيم المالك النور الصادق فلا نجاة إلا في التعلق بحبله سبحانه

في كل ما يحياه الانسان او تحيا به أموره.

وفي الحديث سجع وهو سجع محمود؛ لأنه أدى دورا رئيسا في تأكيد المعنى وتقويته وتعميقه، والبلاغيون يرونه السجع منقبة للقول إذا جاء تابعا للمعنى ولم يكن متكلفا ولامجلوبا لصنعه.

واسلوب الحديث كذلك جاء مؤثرا الحصر والقصر بطريق التقديم في اغلب جملة «**لك الحمد، لك اسلمت، بك آمنت، عليك توكلت، اليك أنبت، بك خاصمت، اليك حاكمت**».

كما جاء الحصر والقصر بتعريف الطرفين في «أنت المقدم وانت المؤخر»، واخيرا القصر بطريق النفي والاستثناء في «لا إله الا انت»، والقصر هنا ألزم طرق التعبير عن التوحيد الخالص، التوحيد بنوعيه توحيد الالوهية وتوحيد الربوبية.

الحديث الثالث والعشرون

عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة، لايمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولايمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» ثم قال في سجوده مثل ذلك[1].

هذا الحديث في قيام الليل حيث يحلو للعبد المنيب السبح في بحور النور والذكر والمناجاة، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى للعبَّاد المتبتلين الذين هم كما وصفهم الله - عز وجل - **﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [**الذاريات**: ١٧، ١٨].

وفي الحديث ائتلاف اللفظ مع المقام والمعنى والزمان والمكان، فالمقام مقام اللقاء الحار مع الحبيب الذي لاتنقطع مودته ولاتنفد رحمته والذي بيده الخير - مجيب الدعاء - سبحانه، فطول اللقاء يمتع النفس ويشرح الصدر، ويصفي الروح، وينقي القلب، لذلك كان صلى الله عليه وسلم يطيل القيام ويطيل الركوع ويطيل السجود ويجتهد الاجتهاد كله في قراءة القرآن والدعاء؛ يقرأ في الركعة سورة البقرة لايمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف

---

(١) الحديث رواه ابوداود رقم/٨٧٣ في الصلاة: باب مايقول الرجل في ركوعه وسجوده، والنسائي ٢/١٩١ في الافتتاح: باب نوع آخر من الذكر في الركوع، والترمذي في الشمائل. وهو حديث حسن.

واستعاذ؛ كم من الوقت يستغرق ذلك؟ يستغرق الكثير لكنه الكثير الذي لايمل ولايحس الانسان معه بالوقت ومروره لأنه كما سبق سابح في بحور النور والذكر، ولأن الموقف لقاء مع الغني الحبيب الذي يعطي ولايأخذ.

وأما ائتلاف اللفظ مع المعنى فيبدو ويظهر ظهورا بينا في الفاظ التمجيد التي ذكر بها النبي صلى الله عليه وسلم ربه فهي ألفاظ فيها - كما يقول أهل العلم - مبالغة وتعظيم، فالله ذو الجبروت، أي القهار لكن لفظ الجبروت يفيد مبالغة في القهر تناسب عظم الموقف الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم.

والله ذو الملكوت أي صاحب السلطان والعظمة، وصاحب الكبرياء أي العظيم الذي ترفع عن الانقياد.

وفي ترتيب الصفات بلاغة نبوية عالية فالبداية بصفة ذي الجبروت توقع في النفس السيطرة الكاملة على كل ما كان ويكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان، واتباع هذه الصفة بصفة الملكوت يفيد الملكية المطلقة لكل ما هو كائن، ومن المعلوم أن الملكية كثيرا ما تكون لغير القادر في عالم الانسان فكم من مالك غير قادر على تصريف ما يملك كالصبي والسفيه وغيرهما.

ثم إن ذكر صفة الكبرياء والعظمة يعد نتيجة منطقية لمن اتصف بالصفتين السابقتين فمن له القهر المطلق والملكية المتصرفة لابد أن يكون عظيما ينقاد له كل ما عداه ولاينقاد هو أبدا، وفي ايثار لفظ الكبرياء والعظمة على غيرهما من ألفاظ المبالغة ما يفيد أنهما كبرياء وعظمة غير متكلفين وإنما هما نتاج تبعي لمن اتصف بما سبق من الصفات.

وأما ائتلاف اللفظ مع المكان فيتضح من أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هدوء البال وراحة النفس لابعرض الحياة الدنيا - كما هو حال كثير من البيوت - وإنما بذكر الله والحكمة قال تعالى مخاطبا أمهات المؤمنين: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤] لذلك كان طول القيام والقراءة والركوع والسجود والذكر.

وأما الزمان فليل النبي وما أدراك ما ليل النبي صلى الله عليه وسلم؟ إنه ليل ترتيل القرآن ترتيلا، إنه ليل الناشئة التي هي أشد وطئا وأقوم قيلا، إنه ليل النبي المتبتل الى ربه تبتيلا.

وعلى هذا ففي الحديث الشريف من البلاغة:

المؤاخاة وهو أن تكون معاني الالفاظ متناسبة؛ كما وضح ذلك بهاء الدين السبكي في عروس الأفراح[1].

وفيه كذلك ائتلاف اللفظ مع المعنى، وهو كما وضحه ابن ابي الأصبع أن تكون ألفاظ المعاني المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى، إن كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما، وإن كان رشيقا كان المعنى قريبا وهذا واضح في ايثار لفظي الجبروت والملكوت للدلالة على القهر والسلطان والعظمة، وفي ايثار لفظي الكبرياء والعظمة الدلالة على العز والترفع، وقد سبق بيان أن الصفتين الأخيرتين هما نتيجة حتمية للصفتين قبلهما - والله اعلم.

---

(١) شروح التلخيص ٤ / ٤٧١.

الحديث الرابع والعشرون

عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، واسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وَجِدِّي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي»[١].

عنون البغوي لهذا الحديث بـ«جامع الدعاء»[٢]، وكان حذقا ماهرا في هذه العنونة، فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل المغفرة أمام الذنوب جميعها سواء أكانت ذنوبا يعلم الانسان بوقوعها منه أم لا.

تفصيل ذلك أن الذنب – وهو المراد بالخطيئة هنا – إما أن يقع بالمرء فيه جهله، أو اسرافه في أمره، أو هزله، أو خطؤه، أو عمده، والنبي صلى الله عليه وسلم معلم مرب فهو ليس صاحب ذنب يستغفر الله منه، وإنما يقول ذلك تعليما لأمته واستجابة لأمر ربه[٣].

وقد جاءت الفكرة في الحديث الشريف عميقة ألح على تقويتها عوامل عديدة: أظهرها استقصاء اسباب الوقوع في الذنب وهي:

---

(١) البخاري ١١/١٦٥، ١٦٧ في الدعوات: باب قول النبي – ﷺ – «اللهم اغفر لي ماقدمت وما أخرت»، ومسلم/٢٧١٩ في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب التعوذ من شر مالم يعمل. (انظر شرح السنة للإمام البغوي ٥/١٧٢).

الخطيئة: الذنب يقال خطئ بخطئ، ويجوز تسهيل الهمزة فيقال خطيّة بالتشديد.

الجهل: ضد العلم، الإسراف: مجاوزة الحد في كل شئ.

قال الكرماني: يحتمل ان يتعلق بالإسراف فقط، ويحتمل ان يتعلق بجميع ماذكره (وكل ذلك عندي) اي موجود أو ممكن (فتح الباري ١١/١٩٦).

(٢) شرح السنة للإمام البغوي ٥/١٧٢.

(٣) لعل اوضح مايستشهد به في هذا المقام قوله – تعالى – ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً**﴾ [الفتح: ١-٢] وفي أمر النبي بالاستغفار أقوال راجع فتح الباري ١١/١٩٦ وغيره.

الجهل بمعنى عدم العلم - ومن المرجح أن المرء لايعذر بجهله لأن اسباب العلم كثيرة وطلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة، أو الجهل بمعنى الحمق وسرعة الغضب وذرابة اللسان، أو الهزل وكم أوقع الهزل في ذنوب عضال، أو الجد وما اشنع أن يجد عبد في معصية الله - وكثيرون أولئك الجادون في ارتكاب الآثام أو الخطأ بمعنى انحراف الوسائل عن الوصول الى الغايات النبيلة والتحول عنها الى أضدادها، أو العمد الذي بنيت عليه النية وتوجه اليه القصد.

وفي هذا الاستقصاء اشارة الى ان اي ذنب مهما عظم وتعددت اسبابه لايكبر على مغفرة الله - فالله يغفر الذنوب لمن تاب ورجع واناب إلا الكفر، وكيف يقبل دعاء من كافر؟

ومن عوامل قوة الفكرة وعمقها في الدعاء الشريف توسط العام بين الخاص؛ فبعد أن ذكر عليه الصلاة والسلام الخطيئة والجهل أتى بقوله «**واسرافي في أمري**» والاسراف في الأمر شامل لكل الخطايا واسبابها، ثم ترقى في افادة العموم فقال: «**وما أنت اعلم به مني**» وكم من امور تهوي بالعبد في النار وهو لايدري ولايلقي لها بالا، ثم عاد عليه الصلاة والسلام الى الخاص فذكر بعد ذلك الهزل والجد والخطأ والعمد؛ وفي ذلك دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم حريص كل الحرص على أن يفوز بنعمة المغفرة الشاملة التي لاتترك شيئا أيا كان سببه فهو يبدأ محصيا ثم ينتقل معمما ثم يعود محصيا وكل هذا يدل على الطمع في مغفرة الله التي لاتغادر ذنبا وليس خافيا ان صدور ذلك من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو على سبيل الشكر وتعليم الأمة وإلا فهو مبرأ من الخطيئة والجهل والاسراف في الأمر، مغفور له عليه السلام ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ومن هذه العوامل – ايضا – الطباق في: هزلي وجدي، وفي خطئي وعمدي، ومزية الجمع بين الضدين – هنا – لاتخفى على ذي لب، لأن المراد – كما سبق القول – استقصاء اسباب الوقوع في الذنب، والجمع بين الضدين مقرر لهذا الاستقصاء مقوٍّ له.

وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «**وكل ذلك عندي**» تواضع مناسب لما ينبغي ان يكون عليه الداعي من اظهار التذلل والخضوع وفيه اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[1] وهكذا يسند حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بعضه بعضا.

ومن عجيب أمر أدعية المصطفى عليه الصلاة والسلام أنها كانت تأتي على البديهة لاتعمل فيها، ومع ذلك تجد الفكر العميق والعاطفة الحرى والنسق التعبيري الجميل.

أما الفكر العميق فقد ذكرناه فيما مضى، وأما العاطفة الحرى عاطفة حب الرسول صلى الله عليه وسلم ربه وانطلاقه من هذا الحب الى الطلب غير الوني وغير المنقطع وغير المستجزيء ففي هذا الدعاء شاهد لهذه العاطفة لاتخطئه النظرة المتبصرة؛ انظر الى واوات العطف في الحديث الشريف تجدها دالة على أن الحبيب لايتحجره مانع يحجزه عن بث حبيبه كل ماتنطوي عليه نفسه، كما تجدها موحية بالصلة الوثقى بين النبي صلى الله عليه وسلم وربه تجعله لايجد حرجا في شرح كل مايريد والافاضة في تعداد الاسباب التي يرجو الله التجاوز عنها، ومغفرة ما اتت به من ذنوب.

واما النسق التعبيري ففي هذا الدعاء الازدواج حيث ختمت كل

---

(١) الترمذي رقم ٢٤٢٣ في كتاب صفة القيامة، وابن ماجة في الزهد رقم ٤٢٤١.

جملة بكلمة تماثل في وزنها ما ختمت به الجملة السابقة عليها، انظر «**جهلي، أمري، مني، هزلي، جدي، عمدي، عندي**» تجد وزن هذه الكلمات واحدا ولو أن مولعا بالتلاعب اللفظي عمد الى هذا الازدواج لتكلف دون الوصول اليه وعانى وما هو بواصل، ولكنه جاء – على البديهة – كما سبق القول – في الدعاء النبوي الذي توفر على عمق الفكرة وحرارة العاطفة وجمال التعبير، فسبحان من أدب نبيه فأحسن تأديبه.

الحديث الخامس والعشرون

عن أنس - رضي الله عنه - قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» زاد مسلم في روايته قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه[1].

اكثر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الدعاء المقتبس من كلام المولى - عز وجل - في كتابه الكريم، لما فيه من جمع معاني الدعاء كله لأن أي خير دنيوي هو من حسنة الدنيا، ومن وقي عذاب النار دخل الجنة، فليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [**آل عمران**: ١٨٥].

وفي هذا الدعاء تنكير «حسنة» لإفادة الكثرة والتنوع والعظمة وليس أدل على ذلك من أن علماء السلف - رضي الله عنهم - تعددت أقوالهم في تفسير حسنة الدنيا فمنهم من قال: هي العلم والعبادة، والرزق الطيب والعلم النافع في الدنيا، والجنة في الآخرة.

وقد احسن عبد الله بن الزبير بيان اصحاب هاتين الحسنتين فقال: هم من «يعملون في دنياهم لدنياهم وآخرتهم».

---

(١) البخاري رقم/ ٤٥٢٢ في تفسير سورة البقرة باب (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة...) ورقم/ ٦٣٨٩ في الدعوات: باب قول النبي - ﷺ - «ربنا آتنا في الدنيا حسنة»، ومسلم رقم/ ٢٦٩٠ في الذكر والدعاء: باب فضل الدعاء (اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة)، وأبوداود رقم/ ١٥١٩ في الصلاة باب الاستغفار، وأحمد في المسند ٣/ ١٠١، ٢٠٨، ٢٠٩ و٢٤٧ و٢٧٧، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/ ١٠٥٤، ١٠٥٥.

ومن العلماء من قال: «من آتاه الله الإسلام والقرآن والأهل والمال والولد فقد آتاه في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة».

وقال عماد الدين بن كثير: «الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة وولد بار ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنيء وثناء جميل الى غير ذلك».

واما حسنة الآخرة فأعلاها دخول الجنة وتوابعه[1] من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة.

وأما الوقاية من عذاب النار فهو يقتضي تيسير اسبابها في الدنيا من اجتناب المحارم وترك الشبهات[2].

---

(١) المقصود توابع دخول الجنة في الذكر لا توابعه التالية له في الحقيقة وواقع الأمر.

(٢) راجع فتح الباري ١١/١٩٢.

المراجـــع

١ـ الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي. ط / الحلبي.

٢ـ الأدب المفرد للإمام البخاري ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة.

٣ـ الأذكار للإمام النووي ـ تحقيق بشير محمد عيون ـ مكتبة المؤيد بالطائف، ومكتبة دار البيان بدمشق.

٤ـ أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجاني ـ تحقيق ريتر.

٥ـ إعجاز القرآن للإمام الباقلاني على هامش كتاب الإتقان. ط / الحلبي.

٦ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ـ دار الفكر العربي.

٧ـ أعلام النبوة للماوردي ـ دار إحياء العلوم بيروت.

٨ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزبادي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٩ـ البيان والتبيين للجاحظ ـ دار الكتب العلمية بيروت.

١٠ـ البيان المحمدي ـ للدكتور مصطفى الشكعة ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة .

١١ـ البيان النبوي ـ للدكتور محمد رجب البيومي ـ دار الوفاء للطبع والنشر والتوزيع ـ المنصورة.

١٢ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلي المباركفوري ـ دار الفكر ـ بيروت.

١٣- تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٤- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - إحياء التراث العربي - بيروت.
١٥- تفسير القرآن الحكيم - الشهير بتفسير المنار - للشيخ رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت.
١٦- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري دار الفكر - بيروت.
١٧- دلائل النبوة للبيهقي - دار الكتب العلمية - بيروت.
١٨- زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة - لأحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري القاهري - دار الباز - مكة المكرمة.
١٩- سنن ابن ماجة تحقيق محمد مصطفى الأعظمي - الشركة السعودية العربية.
٢٠- سنن النسائي - شرح الحافظ السيوطي - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة.
٢١- شرح السنة للإمام البغوي - تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي - بيروت ودمشق.
٢٢- شروح التلخيص - مطبعة السعادة بمصر.
٢٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - للقاضي عياض - مصطفى البابي الحلبي.
٢٤- صحيح مسلم - شرح النووي - المطبعة العصرية - القاهرة.

٢٥- الصناعتين لأبي هلال العسكري - مطبعة صبيح - القاهرة.

٢٦- عبقرية محمد للأستاذ العقاد - دار المعارف بمصر.

٢٧- علوم البلاغة للشيخ أحمد مصطفى المراغي - دار القلم بيروت.

٢٨- عمل اليوم والليلة لإبن السني - مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

٢٩ - عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب آبادي - دار الفكر - بيروت .

٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط/الحلبي.

٣١- القاموس المحيط للفيروزبادي - دار الجيل.

٣٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري - دار الفكر - بيروت.

٣٣- لسان العرب لابن منظور - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة .

٣٤- المثل السائر لابن الأثير - تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة - نهضة مصر.

٣٥- المجازات النبوية للشريف الرضي - ط/الحلبي.

٣٦- المسند للإمام أحمد بن حنبل - شرح الشيخ أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر.

٣٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن للحافظ السيوطي تحقيق

علي محمد البجاوي – دار الفكر العربي.
٣٨– معجم البلاغة العربية للدكتور بدوي طبانة – دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة – والرفاعي للنشر – الرياض.
٣٩– معجم القواعد العربية للأستاذ عبدالغني الدقر – دار القلم دمشق.
٤٠– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضع محمد فؤاد عبدالباقي – دار الحديث – القاهرة.
٤١– مفتاح العلوم للسكاكي – تحقيق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٢– الموطأ للإمام مالك – مصطفى البابي الحلبي.
٤٣– النبأ العظيم للشيخ محمد عبدالله دراز – دار القلم – الكويت.

فهرس الكتاب

الموضـــــوع **الصفحة**

صدر من هذه السلسلة

١	تأملات في سورة الفاتحة	د. حسن باجودة
٢	الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه	أ. أحمد محمد جمال
٣	الرسول في كتابات المستشرقين	أ. نذير حمدان
٤	الإسلام الفاتح	د. حسين مؤنس
٥	وسائل مقاومة الغزو الفكري	د. حسان محمد مرزوق
٦	السيرة النبوية في القرآن	د. عبد الصبور مرزوق
٧	التخطيط للدعوة الإسلامية	د. محمد علي جريشة
٨	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية	د. أحمد السيد دراج
٩	التوعية الشاملة في الحج	أ. عبد الله بوقس
١٠	الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره	د. عباس حسن محمد
١١	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢	السنة في مواجهة الأباطيل	أ. محمد طاهر حكيم
١٣	مولود على الفطرة	أ. حسين أحمد حسون
١٤	دور المسجد في الإسلام	أ. محمد علي مختار
١٥	تاريخ القرآن الكريم	د. محمد سالم محيسن
١٦	البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام	أ. محمد محمود فرغلي
١٧	حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨	القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٩	القراءات : أحكامها ومصادرها	د. شعبان محمد اسماعيل
٢٠	المعاملات في الشريعة الإسلامية	د. عبد الستار السعيد
٢١	الزكاة : فلسفتها وأحكامها	د. علي محمد العماري
٢٢	حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د. أبو اليزيد العجمي
٢٣	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٢٤	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	د. عدنان محمد وزان
٢٥	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦	تربية النشء في ظل الإسلام	د. محمد محمود عمارة
٢٧	مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨	وحي الله	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩	حقوق الإنسان وواجباته في القرآن	أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	أ. محمد عمر القصار
٣١	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٢]	أ. أحمد محمد جمال

الرقم	العنوان	المؤلف
٣٢-	الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج	د. السيد رزق الطويل
٣٣-	الاعلام في المجتمع الإسلامي	أ. حامد عبد الواحد
٣٤-	الالتزام الديني منهج وسط	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٣٥-	التربية النفسية في المنهج الإسلامي	د. حسن الشرقاوي
٣٦-	الإسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٣٧-	العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٣٨-	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	د. محمود محمد بابللي
٣٩-	النهج الحديث في مختصر علوم الحديث	د. علي محمد نصر
٤٠-	من التراث الاقتصادي للمسلمين	د. محمد رفعت العوضي
٤١-	المفاهيم الاقتصادية في الإسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢-	الأقليات المسلمة في أفريقيا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٣-	الأقليات المسلمة في أوروبا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٤-	الأقليات المسلمة في الأمريكتين	أ. سيد عبد المجيد بكر
٤٥-	الطريق إلى النصر	أ. محمد عبد الله فودة
٤٦-	الإسلام دعوة حق	د. السيد رزق الطويل
٤٧-	الإسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨-	دحض مفتريات	د. البدراوي عبد الوهاب زهران
٤٩-	المجاهدون في فطاني	أ. محمد ضياء شهاب
٥٠-	معجزة خلق الإنسان	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١-	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢-	ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي	أ. أنور الجندي
٥٣-	الشورى سلوك والتزام	د. محمود محمد بابللي
٥٤-	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أ. أسماء عمر فدعق
٥٥-	مدخل إلى تحصين الأمة	د. أحمد محمد الخراط
٥٦-	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٣]	أ. أحمد محمد جمال
٥٧-	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨-	الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩-	نظرات في قصص القرآن	أ. محمد قطب عبد العال
٦٠-	اللسان العربي والإسلام معاً في مواجهة التحديات	د. السيد رزق الطويل
٦١-	بين علم آدم والعلم الحديث	أ. محمد شهاب الدين الندوي
٦٢-	المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان	د. محمد الصادق عفيفي
٦٣-	من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]	د. رفعت العوضي
٦٤-	تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة
٦٥-	لماذا وكيف أسلمت [١]	الشهيد أحمد سامي عبد الله
٦٦-	أصلح الأديان عقيدة وشريعة	أ. عبد الغفور عطار

الرقم	العنوان	المؤلف
١٠٢	أخطا رحول الإسلام	السيد هاشم عقيل عزوز
١٠٣	صلاة الجماعة	د. عبد الله محمد سعيد
١٠٤	المستشرقون والقرآن	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٠٥	مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية	أ. أنور الجندي
١٠٦	الاقتصاد الإسلامي هو البديل	د. شوقي أحمد دنيا
١٠٧	توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ	أ. عبد المجيد أحمد منصور
١٠٨	المخدرات مضارها على الدين والدنيا	د. ياسين الخطيب
١٠٩	في ظلال سيرة الرسول ﷺ	أ. أحمد المخزنجي
١١٠	أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	أ. محمود محمد كمال عبد المطلب
١١١	زينة المرأة بين الإباحة والتحريم	د. حياة محمد علي خفاجي
١١٢	التربية الإسلامية كيف نرغبها لأبنائنا	د. سراج محمد عبد العزيز وزان
١١٣	النموذج العصري للجهاد الأفغاني	أ. عبد رب الرسول سياف
١١٤	المسلمون حديث ذو شجون	أ. أحمد محمد جمال
١١٥	الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم	أ. ناصر عبد الله العمار
١١٦	المسلمون في بو رما .. التا ريخ والتحديات	أ. نور الإسلام بن جعفر علي آل فايز
١١٧	آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم	د. جابر المتولي تميمة
١١٨	اللباس في الإسلام	أ. أحمد بن محمد المهدي
١١٩	أسس النظام المالي في الإسلام	أ. محمد أبو الليث
١٢٠	المستشرقون والقرآن [٢]	د. اسماعيل سالم عبد العال
١٢١	الإسلام هو الحل	أ. محمد سويد
١٢٢	نظرات في قصص القرآن	أ. محمد قطب عبد العال
١٢٣	من حصاد الفكر الإسلامي	د. محمد محي الدين سالم
١٢٤	خواطر اسلامية	أ. ساري محمد الزهراني
١٢٥	الإسلام ومكافحة المخدرات	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٢٦	دروس تربوية نبوية	أ. صالح أبو عراد الشهري
١٢٧	الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل	د. عبد الحليم عويس
١٢٨	من سمات الأدب الإسلامي	د. مصطفى عبد الواحد
١٢٩	خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول]	أ. أحمد محمد جمال
١٣٠	خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني]	أ. أحمد محمد جمال
١٣١	المسجد البابري قضية لا تنسى	أ. عبد الباسط عز الدين
١٣٢	التدريس في مدرسة النبوة	د. سراج عبد العزيز الوزان
١٣٣	الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديث	أ. ابراهيم اسماعيل
١٣٤	تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام	د. حسن محمد باجودة
١٣٥	منهاج الداعية	أ. أحمد أبو زيد
١٣٦	في جنوب الصين	الشيخ محمد بن ناصر العبودي

١٣٧– التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨– الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩– سقوط الأيديولوجيات	أ. أنور الجندي
١٤٠– الطفل في الإسلام	أ. محمود الشرقاوي
١٤١– التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢– لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي جفاجي
١٤٣– الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤– أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥– الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية	أ. أحمد أبو زيد
١٤٦– الإسلام والنظام العالمي الجديد (الطبعة الثانية)	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧– من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٤٨– الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	أ. زيد بن محمد الرماني
١٤٩– الماسونية والمرأة	أ. جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠– جوانب من عظمة الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٥١– الأسرة المسلمة	د. حسن محمد باجودة
١٥٢– حرب القوقاز الأولى	د. أحمد موسى الشيشاني
١٥٣– المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية – الجزء الثاني	أ. زيد بن محمد الرماني
١٥٤– المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي	د. السيد محمد يونس
١٥٥– القدس في ضمير العالم الإسلامي	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٦– الطريق إلى الوحدة الإسلامية	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٧– المركز القانوني الدولي لمدينة القدس	د. جعفر عبد السلام
١٥٨– الحوار النافع بين أصحاب الشرائع	أ. عبد الرحمن الحوراني
١٥٩– الإنسان والبيئة	أ. علي راضي أبو زريق
١٦٠– الإسلام وأثره في الثقافة العالمية	أ. محمود الشرقاوي
١٦١– الموت .. ماذا أعددنا له ؟	أ. عبد الله أحمد خشيم
١٦٢– زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه	د. محمود محمد بابللي
١٦٣– عطاء الإسلام الحضاري	أ. أنور الجندي
١٦٤– إحياء الأراضي الموات في الإسلام	أ. عاطف أبو زيد سليمان علي
١٦٥– أهمية يوم الجمعة (خطب مختارة)	أ. محمد بن سليمان الأهدل
١٦٦– البوسنة والهرسك .. أرقام وحقائق	أ. خالد الأصور
١٦٧– المسلمون في لاوس وكمبوديا	أ. محمد بن ناصر العبودي
١٦٨– المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين في المجتمع الهولندي	أ. ابراهيم الدرعاوي

١٦٩ - مفاهيم يجب أن تُصحح ———— أ. بغداد سيدي محمد امين

١٧٠ - السنة النبوية المطهرة ———— الشيخ محمد علي الصابوني

١٧١ - نحو مشروع حضاري للإسلام ———— د. أحمد القديدي

١٧٢ - الإعلام الإسلامي رسالة وهدف ———— أ. سمير بن جميل راضي

١٧٣ - الشريعة والتشريع ———— أ. فاطمة السيد علي سباك

١٧٤ - ترجمات معاني القرآن الكريم ———— د. عبد الله عباس الندوي

١٧٥ - خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام ———— أ. زيد بن محمد الرماني

١٧٦ - الرحمة المهداة محمد رسول الله ﷺ ———— د. نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني

١٧٧ - المعاهدات الدولية ———— أ. عثمان بن جمعة ضميرية

١٧٨ - التكامل وتقسيم العمل الإقليمي بين الأقطار الإسلامية ———— د. محمد إبراهيم منصور

١٧٩ - شقائق الرجال وحل مسألة المرأة في المنهج الإسلامي ———— أ. حسني شيخ عثمان

١٨٠ - في غرب الهند ———— أ. محمد بن ناصر العبودي

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة